جامعة الأزهر
كلية البنات الإسلامية
بأسيوط

المجلة العلمية

الدلالة المقامية
بين النظرية والتطبيق
سورة البقرة نموذجاً

إعداد

د/ أحمد عبد الرحيم أحمد فراج

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط

قسم أصول اللغة

ملخص

هناك جزء من المعاني لا يقتصر فيه على البنية اللفظية في اللغة ، وإنما يحتاج إلى معرفة القرائن والأحوال المصاحبة للكلام ، ولم يكتف علماء اللغة بهذا الحد بل أضافوا الملابسات المكانية والأحداث الزمانية والمعلومات المشتركة بين المتكلم بصفته مرسلًا ، والمتلقي بصفته مستقبلًا، وكل ما يؤثر في بيان معاني الألفاظ .

والدلالة المقامية هى نوع من أنواع الدلالة التي لا تستفاد من الكلمات والجمل والعبارات وإنما تستفاد من الملابسات المصاحبة للرسالة اللغوية ، وهذا الأمر لم يغب عن ذهن المتقدمين من علماء اللغة ، وتحدثوا عنه بما يدل على وعيهم الكامل بأثره في تحديد المعاني المرادة والدلالات المقصودة .

ولا نستطع فهم النص القرآني إلا إذا عرفنا كل الملابسات والقرائن المصاحبة لنزول والوحي ، والاستناد إلى أقوال الصاحبة ـ رضوان الله عليهم ـ ؛ لأنهم عاصروا نزول الوحي وأدركوا المعاني المقصودة ؛ ولذا كانت العناية المفسرين بأسباب النزول ليتمكنوا من فهم المعاني الخافية التي لا يمكن التوصل إليها من ظاهر الألفاظ .

Abstract

The linguists did not limit themselves to this limit, but added the spatial circumstances, temporal events, information shared between the speaker as a sender, the recipient in his future, and all that affects the statement .Meanings of words

The significance of Almqamya is a kind of significance that does not benefit from the words and sentences and phrases, but benefit from the circumstances associated with the letter language, and this was not absent from the minds of the applicants of the linguists, and talked about it, indicating their full awareness of its impact in determining .the desired meanings and indications intended

And we can not understand the text of the Koran unless we know all the circumstances and evidence accompanying the descent and revelation, and based on the words of the companions of God, because they experienced the revelation of revelation and realized the meanings intended; and therefore the care interpreters of the causes of descent to be able to understand the hidden meanings that can not be reached from The appearance of words

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، وتفضل بالنعم ، وخلق الإنسان من العدم ، وكرمه بالعقل ، وميزه بالفهم ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلًا ، والصلاة والسلام على نبي الهداية ، وماحي الغواية ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن علم الدلالة هو قمة الدراسات اللغوية ، والمهيمن عليها ، وجميعها تشترك للوصول إليه ، فهناك الدلالة الصوتية ، والدلالة الصرفية ، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية، وهو العلم الذي يعنى بدراسة المعنى صوتيًا و صرفيًا و نحويًا و معجميًا و سياقيًا .

والسياق إما أن يعتمد على تحديد معنى اللفظ من خلال علاقاته بالكلمات الأخرى في النظم سواء أكان جملة أم نصًا وفي هذه الحالة يسمى السياق اللغوي .

وإما أن يعتمد على القرائن والأحوال والملابسات الخارجية التي تساعد على تحديد المعنى المراد ، وفي هذه الحالة يسمى السياق غير اللغوي ، وهو عامل مؤثر في الدلالة وإن كان من خارج اللغة ، وله أثر في توجيه المعنى وتحديد المقصود .

وقد أشار اللغويون إلى هذه السياقات غير اللغوية في أثناء حديثهم عن السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي وسياق الموقف أو سياق الحال ، وهذا الأخير يدخل فيما أطلق عليه المتقدمون من علماء اللغة بأنه المقام أو مقتضى الحال .

والكلمات والجمل قاصرة عن أداء المعنى في حد ذاتها ولا بد من مراعاة القرائن والملابسات والمكونات الزمانية والمكانية والثقافية التي يكون لها دور في بيان المعنى ، وهى عناصر مهمة في مجال علم الدلالة الوصفي ، وهو الأساس الذي تبنى عليه الدلالة الاجتماعية التي تتمثل في الملابسات والأحداث والعلاقات التي تصاحب الموقف اللغوي .

والذي دعا إلى ضرورة مراعاة المقام هو أن بعض الكلمات والجمل والتراكيب لا تجد لها تفسيرًا مقنعًا في الدراسات اللغوية التي تعتمد على الجانب البنيوي ، أو كما قال دي سوسير (دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها) ؛ ولأن هناك عوامل خارج بنية اللغة تؤثر في المعنى أو في الدلالة ، وهذه العوامل منها ما يتعلق بالمتكلم ، ومنها ما يتعلق بالسامع ، ومنها ما يتعلق بالبيئة وهذه العناصر هى التي يقال لها الموقف أو المقام .

ومن ثم جمعت هذه العوامل التي من خارج البنية اللغوية تحت مسمى الدلالة المقامية، وهى تعنى بدور المتلقي في تحديد المعنى ، والموقف الذي يذكر فيه الكلام ، والهدف منه ، ونوع المعلومات المطروحة وأشكال السياقات وكيفية التواصل .

وقد تعددت أقوال اللغويين واختلفت مصطلحاتهم في التعبير عن هذا العنصر المؤثر في المعنى أو الدلالة ، فالقدماء من اللغويين العرب يعبرون عنه بالمقام أو مقتضى الحال أو شاهد الحال ، أما المحدثون فإنهم يعبرون عنه بسياق الحال أو سياق الموقف ، أو المسرح اللغوي ، أو الماجرى .

وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أمور منها :

أولًا : وجَّه كثير من الدارسين جهودهم إلى اللغة باعتبار النطق والأداء وغفل بعضُهم عن المتلقي وأثرِه في التواصل والتفاعل كما غفلوا عن الاهتمام

بالسامع واعتبار المخاطب ومطابقة الواقع وعدمه ، والدلالة المقامية أولت هذا الجانب عناية كبيرة وأبرزت دور المتلقي في تفسير المعاني وتأوليها .

ثانيًا : الكشف عن دور التراث العربي في وضع مبادئ وأسس الدلالة المقامية ، وإثبات أنها لم تغب عن وعي علماء اللغة العرب وأنهم وضعوا مباحث وأفكارًا وثيقة الصلة بهذه الدلالة .

ثالثًا : إن المتحاورين قد يضيفون إلى الملفوظات والكلمات دلالات أخرى غير ظاهرة ، ودور المقامية هو تسليط الضوء على تلك القواعد الحاكمة أو الضابطة لهذه الدلالات التي تكون وليدة الموقف أو السياق غير اللغوي، وهذه الدراسة تبرز هذه القواعد وتوضحها .

رابعًا : إن الدراسة المقامية جاءت لإبراز الجوانب التي أهملتها الدراسة البنيوية التي تعتمد على البنية اللغوية دون اعتداد بالمكان أو الزمان أو الملابسات التي تحدد معنى الكلمة في الجملة أو النص .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة ، ثم ذيلت الدراسة بثبت المصادر والمراجع .

أما المقدمة فقد تكلمت فيها عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة البحث ، ومنهج الدراسة .

وأما المباحث فجاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : وعنوانه : مفهوم الدلالة المقامية، وتكلمت فيه عن مفهوم الدلالة المقامية عند القدماء والمحدثين من علماء اللغة.

المبحث الثاني : وعنوانه : الدلالة المقامية عند علماء اللغة ، وتحدثت فيه عن الدلالة المقامية في التراث العربي ، ودور اللغويين العرب في وضع أسس هذه الدلالة ومقارنتها بما توصل إليه اللغويون المعاصرون .

المبحث الثالث : وعنوانه : الدلالة المقامية عند المفسرين ، وبينت فيه دور أسباب النزول في تحديد دلالة الألفاظ وتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان عناصر الموقف التواصلي المؤثرة في المعنى .

المبحث الرابع : وعنوانه : الدلالة المقامية والتداولية ، وذكرت فيه عناصر الاتفاق والاشتراك بين الدلالة المقامية والتداولية .

المبحث الخامس : وعنوانه : الدلالة المقامية في سورة البقرة نموذجًا تطبيقيًا، وذكرت فيه بعض الأمثلة والنماذج التي تظهر أثر المقام في إبراز المعاني المقصودة والدلالات المرادة .

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة اللغوية ذات العلاقة المباشرة بالموضوع ، وتحليل تلك الظاهرة في ضوء أقوال اللغويين قديمًا وحديثًا .

والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة طلاب العلم والدارسين وأن يجعلها ذخرًا لي يوم الدين، ﴿ ③♦❑⇗♦ •• ③♦☪▦☒➚← ✍♦〰✌⊀
❑♦•• ✍❑☪↖❑♌♦ ⬀✂✂⬂ ☽☒•• ✍♦♊⇳
📖❑✌♦❼ ✁〰✎✈ ✍☒☽•▪▫▪▦ ∝⬚▪☒⑩⚐▦
⬀✂✂⬂ ﴾ [الشعراء الآيتان : ٨٨ ، ٨٩] ، وصلى الله ـ تبارك وتعالى ـ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته .

الباحث

مباحث الدراسة

المبحث الأول : مفهوم الدلالة المقامية .

المبحث الثاني : الدلالة المقامية عند علماء اللغة .

المبحث الثالث : الدلالة المقامية عند المفسرين .

المبحث الرابع : الدلالة المقامية والتداولية .

المبحث الخامس : الدلالة المقامية في سورة البقرة نموذجًا تطبيقيًا .

المبحث الأول

مفهوم الدلالة المقامية

إن الكلمات لا يفهم معناها وهى مفردة ومستقلة إلا باعتبار المعنى العام أو المعنى الكلي الذي يكون مشتركًا في كل الاستعمالات وفي جميع الحالات ، لكن المعنى المحدد والمقصود لا يمكن أن يفهم في إطار هذا المعنى العام فقط بل لا بد من النظر إلى الكلمات الأخرى التي تكتنف تلك الكلمة من قبلها ومن بعدها حتى يتحدد معناها ، يقول جون لاينز : " ولو نظرنا إلى المسألة من وجهة دلالية لوجدنا من الأفضل اعتبار البنية المعجمية للغة . بنية مفرداتها . شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى ، أي أنها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد ، يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة " (١).

ومثال ذلك دلالة كلمة (أكل) فإن معناها العام هو " إيصال ما يُمْضَغ إلى الجَوْف ممضوغًا أوَّلًا " (٢)، لكن هذا المعنى يتحدد ويتخصص في السياق الذي يذكر فيه ، ففي قوله تعالى : ﴿ ❹🖬🔍♦↗⑥❐🕮 🕮❐■♦⑨←🖹←🏳⇔ ❐🕮♌ ③♦🖹←🖹←✍• ⇔♦♦🔍🙍⌘
---

(١) اللغة والمعنى والسياق تأليف / جون لا ينز ص ٨٣ ، ترجمة د / عباس صادق الوهاب ، مراجعة د / يوئيل عزيز ، ط / دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٨٧ م .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للسيد / محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي ، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج ٢٨ / ٨ (أ ك ل) ، ط / حكومة الكويت ، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

﴿[1] فإن كلمة (يأكل) هنا معناها يغتابه ، وفي قوله تعالى : ﴿[2] فإن كلمة تأكله هنا معناها تحرقه وهكذا يتنوع معنى الأكل بتنوع السياقات التي يرد فيها .

ولا يقتصر الأمر على العناصر اللغوية فقط ، بل هناك عناصر غير لغوية تؤثر في تحديد دلالة الألفاظ ، وأبرز تلك العناصر التي يمكن أن تؤثر في المعنى هو سياق الموقف أو سياق المقام ، وهو ما يعرف في الدراسات اللغوية بالدلالة المقامية ، يقول د / محمود السعران : " ثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى ، بل هى جزء أو أجزاء من معنى الكلام ، وذلك كشخصية المتكلم ، وشخصية المخاطب ، وما بينهما من علاقات ، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به ، كالجو . مثلًا . ، أو الحالة السياسية ... إلخ " [3] .

ومصطلح الدلالة المقامية أشار إليه عدد من الدارسين والباحثين المحدثين ومنهم د/ محمود أحمد نحلة وذلك عندما قال: " وقد أفضى هذا إلى ظهور ما يسمى علم الدلالة المقامي (situationl semantics) على النحو

---

(١) الحجرات من الآية / ١٢ .

(٢) آل عمران من الآية / ١٨٣ .

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٢٦٣ ، ط / دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت . لبنان ، والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث د / محمد أحمد أبو الفرج ص ٩٥ ، ط / دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، سنة ١٩٦٦م.

الذي وجدناه عند بارواىز وبري (Barwise & Perry) (سنة ١٩٨٣)، حيث بذلت محاولات جادة لإدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي "[١].

ومنهم د / منقور عبد الجليل قال : " يقول الجاحظ كاشفًا عن الدلالة المقامية : إنه ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وحالاتهم ، فيجعل لكل طبقة منهم كلامًا يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات "[٢] .

واعتبر د/ أحمد مختار عمر المقام أبرز عناصر سياق الموقف حيث قال: " وأما سياق الموقف فيعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة ، مثل استعمال كلمة " يرحم " في مقام تشميت العاطس : "يرحمك الله " (البدء بالفعل) ، وفي مقام الترحم بعد الموت : " الله يرحمه " البدء بالاسم ، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا ، والثانية طلب الرحمة في الآخرة ، وقد دل على هذا سياق الموقف " [٣] .

وتعددت المصطلحات التي تتعالق مع هذا المصطلح قديمًا وحديثًا ، فالقدماء استعملوا المقام والحال ومقتضى الحال وشاهد الحال .

فالمقام . بفتح الميم الأولى وبضمها . مصدر بمعنى الإقامة ، أو اسم مكان بمعنى موضع القيام ، وقيل : المفتوح اسم مكان والمضموم مصدر ،

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر د / محمود أحمد نحلة ص ١٧ ، ط / دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٢ م .

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، تأليف د / منقور عبد الجليل ص ١٢٧ ، ط / منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ٢٠٠١ م .

(٣) علم الدلالة د / أحمد مختار عمر ص ٧١ ، ط / عالم الكتب سنة ١٩٩٨ م .

يقول الجوهري : " أما المَقام والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام ؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يُقيم فمضموم ؛ لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم "(١).

والمقام هو كل ما يحيط بالموقف الكلامي من ظروف وملابسات لها تأثير في تحديد المعنى المقصود .

أما الحال فقد عرفه ابن يعقوب المغربي بأنه " أمر يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة تناسبه "(٢) .

ومقتضى الحال معناه أن يكون الكلام موافقًا لما يذكر له ، يقول السكاكي : " ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به ، وهو الذي نسميه مقتضى الحال " (٣) .

فهناك تقارب بين هذه المصطلحات الثلاثة ، غير أن المقام يلاحظ فيه الجانب المكاني حيث إن المقام من القيام والقيام يستلزم مكانًا للقيام فيه، أما

(١) تاج اللغة وصحاح العربية تأليف / إسماعيل بن حماد الجوهرى ، تح / أحمد عبد الغفور عطار ٥ / ٢٠١٧ (ق . و . م) ، ط / دار العلم للملايين سنة ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م ، لسان العرب للإمام / أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور١٢ / ٤٩٨ (ق . و . م) ، ط / دار صادر بيروت .

(٢) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ط / نشر أدب الحوره .

(٣) مفتاح العلوم ، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تح / عبد الحميد هنداوي ص ٢٥٦ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، سنة ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .

الحال فإنه يلاحظ فيه جانب الزمان، وهناك من العلماء من ساوى بين المعنيين ، يقول صاحب كتاب (مواهب الفتاح) : " فتقرر بهذا أن المقام والحال شيء واحد ، وكذا الاعتبار ومقتضى الحال ، وأنه لا فرق بين المقام والحال في الحقيقة " (١)

واستعمل ابن جني مصطلح شاهد الحال في كتاب (الخصائص)، وهو قريب جدًا في مضمونه من مصطلح المقام أو سياق الموقف في اصطلاح المحدثين من علماء اللغة ، يقول ابن جني : " فأما تجوزهم من تسميتهم الاعتقادات والآراء قولًا فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول أو ما يقوم مقام القول من شاهد الحال "(٢) .

أما المحدثون فيطلقون على هذا العنصر المؤثر في المعنى عدة أسماء أذكر منها ما يلي :

١ ـ المسرح اللغوي :

العناصر غير اللغوية المصاحبة للموقف اللغوي والمؤثرة في دلالات الألفاظ أطلق عليها د / كمال بشر مصطلح المسرح اللغوي ، وفي ذلك إشارة إلى الإطار الاجتماعي الذي يتألف من مجموعة عناصر يأخذ بعضها بحجز بعض ، يقول : " كان فيرث منطقيًا مع نفسه ومبادئه حين جعل فكرة السياق (غير اللغوي) أو الاجتماعي أو ما سميناه نحن (المسرح اللغوي) أساس نظريته في التحليل اللغوي ، فعنده أن الكلام ليس ضربًا من الضوضاء يلقى في

(١) مواهب الفتاح ص ١٢٦ .

(٢) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ١ / ٢٤٥ ، تحقيق أ / محمد على النجار ، ط / المكتبة العلمية .

فراغ ، ومدار فهم الكلام والقدرة على تحليله إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين سماه سياق الحال ، وهذا السياق ذو عناصر معينة متكاملة وهى ضرورية في عملية الفهم والإفهام " [١] .

٢ ـ الماجرى :

استعمل د / محمود السعران مصطلح (الماجرى [٢]) للتعبير عن هذه الحالة فقال : " إن سياق الحال أو الماجرى هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية " [٣] ، وقد أدرج د/ تمام حسان هذا المفهوم ضمن الماجريات ، قال : " في الصفحات الآتية تلخيص نظرية أستاذنا ج . ر . فيرث في منهج الدلالة ، وأن نشرح الظروف التي مر بها أهم اصطلاح من اصطلاحات هذه النظرية وهو " الماجريات " أو (Context of situation)" [٤] .

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد د / كمال بشر ص ١٥٤، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٥ م .

(٢) حاول د / تمام حسان أن يبين مفهوم هذا المصطلح بقوله : " وهى تدل ـ بأحد معانيها ـ على مجموع عناصر محيطة بموضوع التحليل ، تشمل حتى التكوين الشخصي ، والتاريخ الثقافي للشخص ، ويدخل في حسابها الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، وهذا الاصطلاح ـ بالنسبة لعلم اللغة ـ قصد به دائمًا سياق النص ، أما في السلوك الكلامي العادي فكل وَضْع ـ مهما كان ـ يعتبر عنصرًا من عناصر الماجريات ". ينظر: مناهج البحث في اللغة ص ٢٥٢ ،، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٠م .

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٢٥٢ .

(٤) مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان ص ٢٥١ ، وينظر الصفحات الآتية : ١٩٥، ٢٢٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ .

٣ ـ سياق الحال :

تنوعت المصطلحات التي تقابل المصطلح الإنجليزي (Context of situation) ، ومن تلك الترجمات مصطلح سياق الحال ، يقول د / محمود السعران : " واستعمل مالينوفسكي ذلك المصطلح (Context of situation) سياق الحال = الماجريات ، نعم إن كلمة (Context) سياق كانت متداولة بين اللغويين من قبله ولا تزال متداولة بينهم ، ولكن مالينوفسكي أضفى على الاصطلاح معنى خاصًا ... ثم تطور هذا المصطلح تطورًا آخر باستعمال الأستاذ فيرث له في دراسته اللغوية ، وسياق الحال عن الأستاذ فيرث نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام ، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراستهم " (١) .

٤ ـ سياق الموقف :

ترجم بعض الدارسين المحدثين المصطلح الإنجليزى (Context of situation) بـ (سياق الموقف) ،" ويذكر فيرث أن مالينوفسكي Malinowski هو أول من استخدم عبارة سياق الموقف بشكل موسع في اللغة الإنجليزية ، ويرى أنه بالنسبة إلى عمل اللغوي فإن سياق الموقف يتعلق بالآتي :

أ ـ السمات المتعلقة بالمشاركين ، الأشخاص والشخصيات .

١ ـ الحدث اللغوي للمشاركين

٢ ـ الحدث غير اللغوي للمشاركين .

ب ـ الأشياء وثيقة الصلة بالموضوع .

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٣١٠ .

ج ـ تأثير الحدث اللغوي"[١].

٥ ـ الدلالة المقامية :

أشار بعض الباحثين إلى أن الدلالة المستفادة من الظروف والملابسات المصاحبة لعملية الكلام والبيئة المحيطة بها هى دلالة مقامية زائدة على الدلالة الوظيفية (صرفية ونحوية) ومختلفة عن الدلالة المعجمية ، لأنها تعتمد على قصد المرسل وفهم المستقبل والمعلومات المشتركة بينهما .

ـ مفهوم الدلالة المقامية :

الدلالة المقامية هى دلالة لا تستفاد من الكلمات في حد ذاتها ، وإنما تستفاد من الموقف أو المقام ، ومثال ذلك عندما يقول لك شخص ما : أ يمكن أن تناولني كوب ماء ؟ هو لا يقصد الاستفهام على حقيقته وإنما يقصد أن يقول : ناولني كوبًا من الماء بصيغة الأمر ، ولكن لما كان هذا الأمر تطوعًا منه لم يرد المتكلم أن يواجه المخاطب بصيغة الأمر التي ربما رآها ثقيلة فساق طلبه بأسلوب الاستفهام تشجيعًا للمخاطب على تلبية طلبه .

فالمعنى (ناولني) المذكور معنى دلالي أما الجانب الجمالي وهو عرض الطلب أو الأمر بأسلوب الاستفهام هو جانب بلاغي ، وهنا كان الفرق بين الدلالة المقامية والأسلوب البلاغي .

وقد أشار العلامة الدسوقي في حاشيته على مختصر السعد التفتازاني إلى مفهوم مقامات الكلام التي لها تأثير في المعنى بأنها : " الأمور المقتضية

(١) وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى محمد محمد يونس علي ص ١٠٢ ، ط / منشورات جامعة الفاتح سنة ١٩٩٣ م .

لاعتبار خصوصية ما في الكلام " [١] ، فاختلاف مقامات الكلام يستلزم مراعاة خصوصية كل مقام ، وسوق الكلام بما يتلاءم مع هذه الخصوصية .

كما أشار د / تمام حسان إلى مفهوم المقام بقوله : " فالذي أقصده بالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا ، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه ، كما يعتبر السامع والكلام نفسه ، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم speech event، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ؛ ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا والغايات والمقاصد ، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد ، أجد لفظ " المقام " أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (Context of situation) الذي استعمله اللسانيون المحدثون "[٢] .

فالمقامية بهذا المعنى تجيب عن مجموعة من الأسئلة التي لا تجد إجابة عنها في المجال البنيوي لدراسة اللغة ومن تلك الأسئلة : من المتكلم ؟ ولمن يتكلم ؟ ما القيود اللازمة لنجاح عملية التواصل بين المرسل والمستقبل ؟ لماذا يلجأ المتكلم إلى التلميح ؟ ومتى يكون أبلغ من التصريح ؟ لماذا نقول أشياء ونقصد أشياء أخرى ؟ ومتى يكون الكلام مقبولًا بين طرفي الموقف اللغوي ؟

---

(١) حاشية الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي على مختصر السعد التفتازاني شرح تلخيص المفتاح للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، تح / خليل إبراهيم خليل ١ / ٣١٩ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان سنة ٢٠١١ م.

(٢) الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د / تمام حسان ص ٣٠٤ ، ط ، عالم الكتب ، سنة ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م .

ويتحدد مفهوم الدلالة المقامية بأنها دراسة اللغة في مجال الاستعمال ، فهى لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ، ولكن تدرس الطبقات المقامية المختلفة ، أي : باعتبار أن الكلام صادر من متكلم محدد ، وموجهًا إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد ؛ لتحقيق غرض تواصلي محدد ، يقول د / تمام حسان : " هذا هو المقصود بفكرة "المقام"، فهو يضمّ المتكلم والسامع، أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة relevant في الماضي والحاضر، ثم التراث والفلكور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات " (١)

وفي موضع آخر أضاف د / تمام عناصر أخرى تدخل في السياق وتؤثر في المعاني فالسياق يبدأ باللغة و" تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية وتشمل الدلالات بأنواعها من معرفية إلى عقلية إلى طبيعية ، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث ، وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية مما يجعل السياق كبرى القرائن بحق ؛ لأن الفرق بين الاستدلال بها على المعنى وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية والإعراب والربط والرتبة والتضام إلخ هو فرق ما بين الاعتداد بحرفية النص والاعتداد بروح النص " (٢) .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٥٢ .

(٢) البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني د / تمام حسان ص٢٢١ ، ط / عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م .

وفي موضع آخر أضاف بعض العناصر الأخرى التي يمكن أن تضاف إلى الجانب الشكلي فقال : " النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي والظواهر الموقعية والمعجم وتحديد المقام، ثم ما يرتبط بكل ذلك من قرائن حالية أو مقالية كإشارة اليدين وتعبيرات الملامح وغمزات العينين ورفع الحاجب وهز الرأس وجميع الحركات العضوية مما يعتبر قرائن حالية في أثناء الكلام، ثم التعبيرية بخوالف الأصوات وبالتأفف والفحفحة والتأوه وأصوات الشفتين المختلفة، مما يعتبر من القرائن المقالية في أثناء الكلام أيضًا " [(١)].

فالمقامية تعنى بدراسة المعنى الزائد عن القول أو إيصال أكثر مما يقال ، فعندما نقول : " ما وَراءَكِ يا عِصام " [(٢)] لا نقصد ظاهر الألفاظ من الوراء أو عِصام نفسها ، وإنما قمنا باستدعاء الحالة والصورة التي قيلت فيها هذه العبارة وحاولنا إضفاء هذا الجو على الموقف الحواري الماثل بين المتكلم والسامع أو المخاطب .

فالدلالة المقامية معناها استخلاص المعنى المقصود في الكلام من الأمور الآتية :

١ ـ مقصود المتكلم ، فهناك كثير من الاستعمالات اللغوية التي لا يتضح معناها من البنية اللغوية ولا من التركيب وإنما قصد المتكلم هو الذي يحدد مدلول هذه الاستعمالات أو التراكيب ومن ذلك ما يلي :

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٥٣ .

(٢) مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ٢ / ٢٦٢ ، ط/ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٥م .

أ . قد يقول قائل : ما رأيت خيرًا من خالد فهذه الجملة تحتمل أمرين : أحدهما : المدح فيكون المعنى ما رأيت أحدًا أفضل منه ، والآخر : الذم ويكون المعنى : ما رأيت خيرًا وقع منه أو حدث منه .

ب . أشار د / تمام حسان إلى أننا لا نستطيع أن نتعرف على بعض معاني الكلام إلى عن طريق معرفة قصد المتكلم والمقام الذي يذكر فيه الكلام وضرب مثالًا لذلك بقوله : " زيارة الأصدقاء تسعد النفس إننا لا نعرف من هذه العبارة ما إذا كان الأصدقاء زائرين أم مزورين "[١] .

٢ . البيئة والزمان والمكان والظروف الاجتماعية التي تحيط بعملية الكلام وأثر ذلك على المعنى ؛ وقد أدرك اللغويون أثر هذه العوامل في توجيه المعنى وتحديد المراد ، " فإنهم قد أفاضوا في الوظيفة الاجتماعية للغة (Social Function) ، ولم يغب عنهم أن هذه الوظيفة تتحدد في ظل الظروف المقامية التي تحيط باللغة ومن أبرزها الظروف الاجتماعية الملابسة للعملية اللغوية " [٢] .

٣ . موقف المخاطب أو السامع والمعنى الذي يفهمه من الكلام ، ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف : " لا يصلِّينَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة فأدركَ بعضُهم العصرَ في الطريق فقال بعضُهم : لا نصلي حتى

(١) الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د / تمام حسان ص ٣٠٤ .

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، تأليف د / هادي نهر ص ٢٦٨ ، ط / دار الأمل للنشر والتوزيع بالأردن سنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م .

نأتيهم ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يُرِدْ منا ذلك ، فذُكِرَ ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فلم يعنِّف واحدًا منهم " (١)

حيث اختلف تأويل الصحابة لهذا النص فمنهم من فهم منه الأمر ووجوب عدم صلاة العصر إلا في بني قريظة ، ومنهم من فهم منه الاستعجال في الذهاب ؛ ولذا قام بصلاة العصر في الطريق أثناء الذهاب إلى بني قريظة ، ولما عرف ـ ﷺ ـ ما حدث لم ينكر على كلا الفريقين .

ويتبين من ذلك أن المخاطب له دور وتأثير في فهم النص والتفاعل معه وتوجيه المعنى الذي يقصده المتكلم ، ولربما كان ـ ﷺ ـ يقصد أحد المعنيين السابقين دون الآخر ، لكن لما كان فهم السامع سليمًا ومستقيمًا لم ينكر ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليه فهمه وأقره ، يقول ابن حجر : " وفي هذا الحديث

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي ـ ﷺ ـ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم . ينظر : صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ص ١٠١١، ط / دار ابن كثير بيروت سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ، وفتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح / محمد فؤاد عبد الباقي ٧ / ٤٠٧ ، ط / المكتبة السلفية ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير برواية : لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة ، ينظر صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تح / أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي ص ٨٤٨ ، ط / دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض سنة ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م .

من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه " [١]

وتعددت أشكال الاهتمام بدراسة المقام عند العرب ، فتناولوا ما يرتبط بالمتكلم وطريقة أدائه ، والمخاطَب وطريقة تلقيه ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته .

ـ ما وجه للدلالة المقامية من نقد :

لاقت الدلالة المقامية معارضة من بعض الباحثين والدارسين ، وذلك لما يلي :

أ ـ المقام هو محاولة لتفسير الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة ، يقول د / أحمد مختار عمر : " إن البحث عن تفسير للظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب، المطلوب منا أن نقتنع بتقصي ما هو موجود داخل الحجرة ، أي: ندرس العلاقات داخل اللغة " [٢] .

ب ـ الدلالة المقامية لا تمتلك حدودًا واضحة أو مباحث محددة ، أو وحدات تحليلية معينة ، فكل ما لا يدخل في إطار الجانب البنيوي الشكلي يمكن أن يدخل في المقام .

(١) فتح الباري ٧ / ٤٠٩ .

(٢) علم الدلالة د / أحمد مختار عمر ص ٧٣ .

وما زال الصراع قائمًا بين أنصار البنيوية الذين يرون ضرورة الاعتماد على البنية اللغوية في تفسير الظواهر اللغوية ، وبين علماء السياق (غير اللغوي) الذين يرون أن السياق موجه ومحدد للمعنى ، والحقيقة أن الاتجاهين متكاملان في دراسة الظاهرة اللغوية ؛ إذ ليس من الممكن دراسة اللغة دون الاعتماد على الجانب الشكلي ، وليس من الممكن أن تظل دراسة النظام اللغوي واسعة المعنى ومبهمة المدلول على الرغم مما قرره دي سوسير من أن اللغة تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها ، من أجل ذلك أخذت جهود عدد من الباحثين تتجه إلى التوفيق بين أصحاب البنيوية والجانب الشكلي وبين أصحاب الجوانب الاتصالية والمقامية .

ـ الدلالة المقامية والقصدية :

كان اللغويون العرب على طريق مستقيم عندما لاحظوا أهمية قصد المتكلم من كلامه وأثر ذلك في مدلول خطابه ، نجد ذلك عند العلامة الزجاجي فقد أشار إلى أن " المولى ـ عز وجل ـ إنما جعل الكلام ليُعبِّرَ به العباد عما هجس في نفوسهم ، وخاطب به بعضهم بعضًا بما في ضمائرهم مما لا يوقف عليه بإشارة ولا إيماء ولا رمزٍ بحاجب ولا حيلة من الحيل " [(١)] ، ويرى أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) أن فعل الأمر " ليس أمرًا لصيغته وذاته ، ولا لكونه مجردًا عن القرائن مع الصيغة ، بل يصير أمرًا بثلاث إرادات : إرادة المأمور به

(١) الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي ، تح / مازن المبارك ص ٤٢ ، ط / دار النفائس سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

، وإرادة إحداث الصيغة ، وإرادة الدلالة بالصيغة على الأمر دون الإباحة والتهديد " [١] .

ويتبين من ذلك أن هناك عاملًا مؤثرًا في المعنى والدلالة وهو خارج البنية اللغوية ألا وهو قصد المتكلم ، ففي بعض الأحيان يقول المتكلم شيئًا لا يقصد به لفظه أو ما يفهم من لفظه الظاهر ، وإنما يقصد به شيئًا آخر في نفسه ويسمى المعنى الكامن ، ونستطيع عن طريق معرفة ملابسات القـول أن ندرك قصد المتكلم ومراده من قوله ، وهو ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بالقصدية (Intentionality) ، وقد أشار د / طه عبد الرحمن إلى ضرورة اقتران قصد المتكلم بالكلام حتى يتحقق التواصل بين المتكلم بصفته مرسلًا والمتلقي بصفته مستقبلًا فقال : " " لأن مدار الأمر ينصب على ماذا يعني المُرسل بخطابه لا ماذا تعنيه اللغة ، حتى لو كان الخطاب واضحًا في لغته ؛ لأن معرفة قصْد المُرسل هو الفيصل في بيان معناه"[٢] .

ففي قوله تعالى : ﴿ ❼ ⇔ ▫ ♦ ♌ ♍ ♎ ♏ ♐ ♑ ♒ ♓ ❶ ☼ ➔ ♈ ♉ ♊ ♋ ♌ ♍ ♎ ♏ ♐ ♑ ♒ ♓ ❷ ♦ ③ ♦ ❒ ♈ ♉ ♊ ➔ ♋ ❷ ♦ ③ ♦ ↗ ♌ ♍ ♎ ♏ ♐ ♑ ♒ ♓ ❶ ❒ ➔ ◑ ➔ ♦ ③ ⌘ ﴾[٣] قرئ : يرثني ويرث بالرفع ، وقرئ : يرثني

(١) المستصفى من علم الأصول تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تح / حمزة بن زهير حافظ ٣ / ١٢٤، ط / شركة المدينة المنورة للطباعة .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، تأليف / عبد الهادي بن ظافر الشهري ص ١٩٦، دار الكتاب الجديد المتحدة ، سنة ٢٠٠٤ م .

(٣) مريم من الآيتين / ٥ ، ٦ .

ويرث بالجزم[١] فإذا كان الفعل جوابًا للأمر فهو مجزوم ، أما إذا كان الفعل صفة للولي فهو مرفوع ، فإرادة المعنى هى التي تؤثر في موقعه الإعرابي .

وقد أعطى اللغويون العرب القصد رعاية فائقة في تحديد المعاني ، يتبين ذلك من قول ابن فارس : " فأما المعنى فهو القصد والمراد ، يقال: عنيت الكلام كذا أي : قصدتُ وعمدتُ " [٢] ، وقوله ـ أيضًا ـ: " والذي يدل عليه قياس اللغة أن المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر إذا بحث عنه " [٣] .

ويقول أبو هلال العسكري : " إن المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه ، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد "[٤].

(١) ينظر : التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تح / أوتو يرتزل ص ١٢٠ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع تأليف / عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، تح / إبراهيم عطوة عوض ص ٥٨١، ط / دار الكتب العلمية .وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات تأليف الشيخ / أحمد بن محمد البنا ، تح د / شعبان محمد إسماعيل ٢ / ٢٣٣، ط / عالم الكتب ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٢) الصاحبى فى فقه العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها لابن فارس ، تح د / عمر فاروق الطباع ص ١٩٢ ، ط : مكتبة المعارف ـ بيروت ، سنة : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

(٣) مقاييس اللغة لأبى الحسن أحمد بن فارس ٤ / ١٤٨ (ع ن ى)، تح / عبد السلام محمد هارون، ط / دار إحياء الكتب العلمية ١٣٦٦هـ .

(٤) الفروق اللغوية للإمام / أبي هلال العسكري تح / محمد إبراهيم سليم ص ٣٣ ، ط / دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع .

وقد أشار ابن القيم الجوزية (ت ٦٥١ هـ) إلى : " إن الله ـ تعالى ـ وضع الألفاظ بين عباده تعريفًا ودلالة على ما في نفوسهم ، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئًا عرَّفه بمراده وما في نفسه بلفظه ، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول ، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم بأن المتكلم بها لم يُرد معانيها ولم يُحط بها علمًا "[(١)] .

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين تصنيف / أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ، تح / أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ٤ / ٥١٤ ، ط / دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية سنة ١٤٢٣ هـ .

المبحث الثاني

الدلالة المقامية عند علماء اللغة

التراث العربي غني وثري بالمباحث اللغوية التي يرى بعض الدارسين أنها نتاج للدراسات الغربية وثمرة للأبحاث الأوربية في مجال اللغة ، ومن ذلك الدلالة المقامية ، فهذا المبحث له جذور راسخة في التراث اللغوي عند العرب ، وهذا لا يمنع من الاعتراف بأن الدراسات الحديثة قد كانت أكثر نضجًا وأدق رصدًا لتلك الظاهرة اللغوية بحكم التراكم المعرفي ومعطيات الحضارة الحديثة من طباعة الكتب والمجلات ونشأة الكليات المتخصصة مما أدى إلى تجديد الفكر القديم وبيان عناصر القوة فيه ، ورأب ما به من صدع، وإصلاح ما به من قصور .

أ ـ عند القدامى :

ارتبط المقام في التراث العربي بعلم البلاغة ، وجملتهم الشهيرة " لكل مقام مقال " أفضت إلى كثير من المباحث البلاغية مثل : التقديم والتأخير ، وأضرب الخبر وخروج الأمر على خلاف مقتضى الظاهر ، وكذلك خروج الاستفهام على خلاف مقتضى الظاهر، يقول د / تمام حسان : " ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم ؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة "[1] .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٣٧ .

ويتبين من ذلك العلاقة الوثيقة التي تربط علم البلاغة بعلم الدلالة فكلاهما يعنى بالضوابط والقواعد التي تحدد المعنى وتجليه في أذهان المستقبلين ، ولا يخفى أثر المقام والمجاز والاستعارة في تغير المعنى ، فهذه عوامل مشتركة بين علمي البلاغة والدلالة .

وتعددت مقامات الكلام عند البلاغيين ، وأشار بعضهم إلى بعض تلك المقامات ، ومن ذلك ما ذكره الإمام السكاكي في قوله : " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار ، جميع ذلك معلوم لكل لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام " [1] .

هذه المقامات التي ذكرها الإمام السكاكي تتعلق بسياق الموقف والمقام فهو سياق غير لغوي يؤثر في المعاني ويحدد مدلولاتها ويزيل ما يعتريها من غموض أو إبهام ، ذلك الغموض الناتج من الاعتماد على المعنى العام الذي يصلح في كل التراكيب ولجميع المعاني التي تدخل تحت هذا المعنى العام ، غير أن ما ذكره الإمام السكاكي يتعلق باستخدام الألفاظ والجمل والنصوص التي

(١) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ، ص ٢٥٦ .

تناسب هذه المقامات ولم يشر إلى أثر هذه المقامات في تخصيص المعنى وتعيين المراد .

ومن تلك المقامات . أيضًا . ما ذكره الخطيب القزويني عندما قال: " ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القَصْر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام "[1] .

جمع الخطيب القزويني . هنا . بين السياق اللغوي المتمثل في التنكير والتعريف ، والإطلاق والتقييد ، والتقديم والتأخير ، والذكر والحذف ... إلخ ، وبين السياق غير اللغوي المتمثل في أن خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، ويتضح من ذلك تغليب السياق اللغوي على السياق غير اللغوي .

وانتقد د / تمام فكرة المقام عند البلاغيين ورآها ثابتة وسالبة فقال : " لقد فهم البلاغيون (المقام) أو(مقتضى الحال) فهمًا سكونيًا قالبيًا نمطيًا مجردًا على نحو ما جرد النحاة أصل الوضع للحرف وللكلمة وللجملة ، ثم قالوا : لكل مقام مقال ... فهذه المقامات نماذج مجردة ، وأطر عامة ، وأحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها السلوك الحي ، ويصب في قالبها ، بهذا يصبح المقام

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، تأليف / جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ، تح / إبراهيم شمس الدين ص ٢٠ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، سنة ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .

عند البلاغيين سكوني ؛ لأنه حال أو(static) ، فالذي أقصده بالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا ، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه ، كما يعتبر السامع والكلام نفسه ، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم (speech event) ، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا والغايات والمقاصد ، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد ، أجد لفظ (المقام) أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (Context of situation) الذي يستعمله اللسانيون المحدثون "[1] .

ومن ذلك يتبين الفارق بين تناول البلاغيين وتناول اللغويين لفكرة المقام ، فالبلاغيون ينظرون إلى المقام على أنه قوالب ونماذج يذكر فيها الكلام ، والمطلوب من البليغ أن تتفق أقواله واستعمالاته اللغوية مع تلك المواقف ، أما اللغويون فينظرون إلى المقام على أنه ذلك الموقف الحي المتحرك المشبع بالعناصر التي تؤثر في المعاني وتستدعي الاستعمالات المناسبة لها ، وقد أشار د / كمال بشر إلى أن البلاغيين قد وفقوا في إدراك شيء مهم في الدرس اللغوي وهو المقام ، ولكنهم . كعادتهم . طبقوه بطريقتهم الخاصة ، لقد كانت عنايتهم في المقام موجهة نحو الصحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها ، ولهذا كانت نظرتهم إلى المقام أو مجريات الحال أو ما يسميه هو المسرح اللغوي

(١) الأصول ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

نظرة معيارية لا وصفية ، وأوجبوا أن يأتى الكلام على صفات مخصوصة ونماذج معينة ، طبقًا لمقامه ومقتضيات حاله(١).

فالبلاغيون يقصدون بالمقام أن يتألف الكلام بالطريقة التي تناسب الموقف الذي يذكر فيه ، فالمقامات عندهم صور نمطية وقوالب محددة ، ويدل على ذلك ما فعله قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) حيث قام بحصر المعاني والألفاظ التي تخص بعض المقامات ، ففي مقام المديح مثلًا ينبغي أن يذكر المتكلم المعاني التي يتصف بها الممدوح وهى : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، فإذا التزم المادح للرجال بهذه الخصال الأربع كان مصيبًا ، والمادح بغيرها غير مصيب (٢) .

أما عند اللغويين فالمقام هو الحدث الكلامي الذي تشترك فيه عدد من العناصر تجتمع لتؤدي إلى نجاح الموقف اللغوي ، وتحقق الكفاءة التواصلية بين المرسل والمستقبل ، وهذا الموقف لا يمكن أن يتكرر مرة أخرى ، فكل مقام أو موقف له خصائصه وألفاظه التي تناسبه ولا تناسب غيره ، وكذلك الحاضرون للموقف الحواري وحالتهم النفسية التي تؤثر في كلامهم وكذلك المشاركون والمستمعون في هذا الموقف ، كل تلك العناصر تجعل تكرار الموقف الحواري غير قابل للتكرار أكثر من مرة .

---

(١) ينظر : دراسات في علم اللغة (القسم الثاني : الأصوات) ص ٦٤ ، ط / دار المعارف بمصر القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(٢) ينظر : نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تح / كمال مصطفى ص ٧٢ ، ط / مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٦٣ م .

وهناك فارق آخر بين تناول البلاغيين وتناول اللغويين للمقام وهو أن البلاغيين لاحظوا الاستعمال الذي يناسب الموقف أو المقام ، وربما لم يغير الموقف في دلالة الكلمات أو الجمل والنص إلا أنه يكون موافقاً لمقتضى الحال.

أما اللغويون فقد نظروا إلى السياق على أنه عامل مؤثر في دلالة اللفظ أو الجملة أو النص ، وهذا الفارق هو ما عبر عنه د / تمام حسان بأن البلاغيين نظروا إلى المقام على أنه سلبي أما اللغويون فنظروا إلى المقام على أنه إيجابي ومؤثر ومحدد للدلالة .

وقد وضح أبو هلال العسكري أنماط التعبير التي تناسب المقامات وتلائم المواقف التي تذكر فيها فقال : واعلم أنَّ المعانيَ التي تُنْشَأُ الكتبُ فيها من الأمرِ والنَّهْي سبيلُها أن تُؤَكَّدَ غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام ، لا بجهة كثرة اللفظ ؛ لأن حكم ما ينفُذُ عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته ، من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى ... وسبيل ما يكتب به في باب الشكر أن لا يقع فيه إسهاب ، فإن إسهاب التابع في الشكر إذا رجع إلى خصوصية نوع من الإبرام والتثقيل ... وسبيل ما يكتب به التابع إلى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة النظراء أن لا يكثر من شكاية الحال ورقتها واستلاء الخصاصة عليه فيها؛ فإن ذلك يجمع إلى الإبرام والإضجار شكاية الرئيس لسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه ... وسبيل ما يكتب به في الاعتذار من شيء أن يتجنب في

الإطناب والإسهاب إلى إيراد النكت التي يتوهم أنها مقنعة في إزالة الموجدة ..." [(١)] .

فمعاني الألفاظ والأساليب تتنوع بتنوع المعاني التي يريد المتكلم أن يعبر عنها ، وتتغير بتغير المواقف التي يساق فيها الكلام .

يقول د / تمام حسان : " وإذا علمنا أن علم المعاني يتناول المعنى الوظيفي، وأن علم البيان يتناول المعنى المعجمي، وأن علم البديع يتناول صنعة فنية لا يتحتم فيها أن تتصل بالمعنى، علمنا أن البلاغة العربية لا تتناول المعنى الاجتماعي تناولًا مقصودًا، ولكنها على الرغم من ذلك قدَّمت لدراسة المعنى الاجتماعي أو المعنى الدلالي كما أسميه في هذا البحث، فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي الدلالي، وأولى هاتين الفكرتين فكرة "المقال ,Speech event "والثانية فكرة "المقام ,Context of situation "وأنبل من ذلك أن علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارًا يهتف به كل ناظر في المعنى: العبارة الأولى "لكل مقام مقال"، والعبارة الثانية "لكل كلمة مع صاحبتها مقام. " [(٢)] .

وإذا أردنا أن نرصد تطور فكرة الدلالة المقامية في التراث العربي فيمكن أن نبين ذلك فيما يلي :

---

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تصنيف / أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تح / علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٥٦ . ١٥٨ ، ط / دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧١ هـ . ١٩٥٢ م .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠ .

١ ـ الدلالة المقامية عند سيبويه :

عقد سيبويه في كتابه بابًا هو من صميم الدلالة المقامية ، وهو باب (الاستقامة من الكلام والإحالة)[١] ، حيث بين في هذا الباب ما يصلح أن يكون كلامًا لغويًا مستقيمًا مع العقل والمنطق والموقف التواصلي وبين الكلام الذي لا يصلح أن يكون وسيلة اتصال لمخالفته للمنطق والفكر المستقيم ومواقف الاتصال والكفاءة اللغوية فقال : " فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتُك أمسِ وسآتيك غدًا ، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدًا ، وسآتيك أمس ، وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيدًا رأيت ، وكي زيدٌ يأتيك ، وأشباه ذلك ، وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس"[٢] .

ذكر سيبويه هنا أن الرسالة اللغوية لا تحقق الهدف منها والغرض من توصيلها إلا إذا توافرت فيها الشروط الآتية :

١ ـ صحة التركيب النحوي واتساق التركيب مع الزمان والمكان والحال والعقل وهو ما أطلق عليه المستقيم الحسن .

---

(١) كتاب سيبويه لأبى بشر عمرو بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) ١ / ٢٥ ، تح / عبد السلام محمد هارون ، ط / مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) الكتاب ١ / ٢٥ ، ٢٦ .

٢ . ألا ينقض آخرُ الكلام أوله ؛ لأن ذلك يتنافى مع العقل والمنطق والتفكير السليم وهو ما أطلق عليه المحال .

٣ . صحة التركيب لا تقبل إلا إذا كانت مطابقة للحال والواقع فإذا صح التركيب وخالف الواقع فهو المستقيم الكذب .

٤ . إذا خالف التركيب المنطق والواقع فقد جمع القبح من أطرافه ، وفشل الموقف الاتصالي برمته، وهو ما أطلق عليه المحال الكذب .

كما تنبه سيبويه وأستاذه الخليل بن أحمد إلى دور المخاطب في فك رموز الشفرة اللغوية التي استقرت في أذهان المخاطبين، يقول سيبويه : " وسألت الخليل عن قوله جل ذكره ﴿ 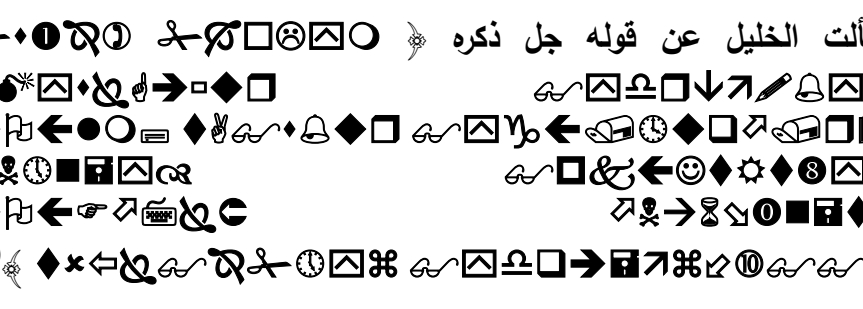 ﴾[1] فقال : إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر (المخاطب) لأي شيء وضع هذا الكلام "[2] .

٢ ـ الدلالة المقامية عند ابن جني :

أشار ابن جني إلى عنصر مهم في تحديد المعاني واستجلاء المقاصد من الكلام ألا وهو ما سمَّاه شاهد الحال فقال : " وبعد ، فالحمَّالون والحمَّاميُّون والساسة والوقَّادون ومن يليهم ويُعْتدُّ منهم ، يستوضحون من مشاهدة الأحوال

(١) الزمر من الآية / ٧٣ .

(٢) الكتاب ٣ / ١٣ .

ما لا يحصِّله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أُخْبِر به عنه، ولم يَحضره يُنشده ، أوَلا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه ويُنْعِم تصويره له في نفسه استعطفه ليُقبل عليه فيقول له : يا فلان ، أين أنت ؟ أرني وجهك ، أقبل عليَّ أحدِّثك ... فلو كان استماع الأُذُن مغنياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه لما تكلف القائل ، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه "[1] .

وقد وضح أستاذنا الدكتور / عبد الفتاح البركاوي كلام ابن جني بقوله : " لقد قسم أبو الفتح الكلام باعتبار المقام أو الأحوال المصاحبة للأداء إلى ثلاثة أقسام :

أول : ذلك الذي نشاهد فيه ظروف الأداء ونستوضح فيه من مشاهدة الأحوال ما لا يمكن تحصيله من أكابر العلماء إذا غيبت عنهم هذه الظروف .

الثاني : ذلك الكلام المشفوع برواية الحال وهذا يمثل منزلة وسطى بين النوع الأول والنوع الثالث .

الثالث : وهو ذلك الكلام المنقول إلينا مقطوعاً عن سياقه ومجرداً عن ذكر أحواله وأسبابه وهذا النوع هو منطقة الخطأ وموطن الزلل الذي يقع فيه الباحث اللغوي عند إرادة الكشف عن المعنى معتمداً على عنصر المقال وحده .

لقد ضرب ابن جني مثالاً لهذا النوع الأخير بما أسرع إليه أبو إسحاق الزجاج من ارتكاب طريق الاشتقاق في نحو قولهم : رفع عقيرته ونقل عن أبي بكر ابن السراج توقفه في قبول الاعتماد على عنصر المقال وحده من جانب

(١) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ١ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

الزجاج ، وقد احتج أبو بكر ابن السراج عليه : " بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها... قال أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم "عقر" من معنى الصوت لبعد الأمر جداً "[١]

ثم ذكر السياق الذي ينبغي أن تفهم في ضوئه هذه العبارة قائلاً : " إنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس : رفع عقيرته ، أي: رجله المعقورة قال أبو بكر:" فقال أبو بكر لست أدفع هذا " [٢] وقد أومأ سيبويه إلى أثر مشاهدة الأحوال في وضع الأسماء فقال : لأنا جهلنا ما علم غيرُنا ، أو يكون الآخر لم يصل إليه علم وصل إلى الأول المسمي " [٣] ، وقام ابن جني بشرح مقولة سيبويه قائلًا : ولذلك قال سيبويه في نحوٍ من هذا : أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل" [٤]

ثم عقب ابن جني على هذه المحاورة الطريفة بين أبي بكر وأبي إسحاق بقوله : " فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات

(١) ينظر : الخصائص ١ / ٢٤٨ ، و دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص ٦٣ ، ٦٤ ، سنة ١٩٩٠ م .

(٢) الخصائص ١ / ٢٤٨ ، ودلالة السياق ص ٦٤ .

(٣) كتاب سيبويه ٢ / ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤) الخصائص ١ / ٢٤٨ .

ولا تضبطه الروايات فُتضطر إلى معرفة قُصود العرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضُر حاله صادقًا فيه ، غير متَّهم الرأي والنحيزة والعقل " [١]

ويقول : " والذي يدل على أنهم قد أحسُّوا ما أحسسنا ، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان : أحدهما حاضر معنا ، والآخر : غائب عنا ، إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا ، فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها ، وتُضطر إلى معرفته من أغراضها وقُصودها من استخفافها شيئًا أو استثقاله وتقبُّله أو إنكاره ، والأنس به أو الاستيحاش منه والرضا به أو التعجُّب من قائله ، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقُصود بل الحالفة على ما في النفوس "[٢].

وكأن ابن جني هنا يريد أن يقول : ليس بعد العين أين ، فمشاهدة الأحوال أقوى في ثبوت الدلالة من الحلف بأغلظ الأَيمان ، وقديمًا قالوا : فما راءٍ كمن سمع .

٣ ـ المقامية عند الجاحظ :

أدرك الجاحظ عنصرًا من الأهمية بمكان في مجال الدلالة المقامية ألا وهو عنصر التأثير في المستمعين ، وكيفية مراعاة أحوال المخاطبين والبيئة التي يعيشون فيها لتحقيق الغرض من الكلام والتأثير في نفس المستمع ، يقول الجاحظ : " ومتى سمعت ـ حفظك الله ـ بنادرةٍ من نوادر كلام الأعراب، فإياك أن

(١) الخصائص ١ / ٢٤٨ .

(٢) السابق ١ / ٢٤٥ .

تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير ، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومُلْحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو تتخيَّرَ لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سريَّاً ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويُخرجها من صورتها ومن الذي أُرِيدت له ، ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها"(١).

هذا التأثير الذي أشار إليه الجاحظ يمثل أحد أهم وظائف اللغة ، وهو "التعبير عن العواطف والانفعالات وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني" (٢).

فمراعاة أحوال المخاطبين من أهم الركائز التي يعتمد عليها الموقف اللغوي الناجح ، ويعد أحد أهم عناصر الكفاءة التواصلية ، وما أدركه الجاحظ يتفق إلى حد كبير مع ما توصل إليه ستيفن أولمان عندما قال: " الملاحظ أن وقوع الكلمات في نماذج معينة من السياقات يكسبها جواً خاصاً ويحيطها بملابسات تعين في الحال على استحضار البيئة التي تنتمي إليها هذه الكلمات... وقد تزيد التعبيرات الدارجة واصطلاحات اللهجات العامية في بهجة الأسلوب وحيويته إذا استعملت استعمالاً لبقاً " (٣).

---

(١) البيان والتبيين لأبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ ، تح / عبد السلام محمد هارون ١ /١٤٥ ، ١٤٦ ، ط / مكتبة الخانجي بالقاهرة ، سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

(٢) دور الكلمة في اللغة تأليف / ستيفن أولمان ، ترجمة د/ كمال بشر ص ١١٤، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة الطبعة الثانية عشرة.

(٣) دور الكلمة في اللغة تأليف / ستيفن أولمان ص ١١٤ .

٤ ـ المقامية عند عبد القاهر الجرجاني :

لقد كان الإمام عبد القاهر الجرجاني على بينة من الأمر حين عقد فصلًا في دلائل الإعجاز عنوانه : " في اللفظ يُطْلَق ويُرادُ به غير ظاهره "[١] فهناك كثير من المعاني لا تستفاد من ظاهر اللفظ أو من البنية اللفظية أو من الدلالة الوضعية للفظ ، وإنما تستفاد من المعنى الذي يريده المتكلم يقول د / سعيد حسن بحيري : " لا يريد المعنى الظاهر في حد ذاته ، وإنما يجعله سُلَّمًا يرقى به إلى المعنى غير الظاهر ، أو بعبارة أخرى لا يريد المعنى الذي يُحَدِّده الوضع اللغوي ، بل المعنى الذي يقصده المتكلم " [٢] .

وساق الإمام عبد القاهر بعض الأمثلة التي تدل على أن المتكلم قد لا يقصد المعنى الظاهر من اللفظ وإنما يقصد معنى بعيدًا يفهم من القرينة والسياق ومن ذلك قولهم : هو طويل النجاد ، يريدون: طويل القامة، وكثيرُ رَمَادِ القِدْر ، يعنون كثير القرى ، وفي المرأة : نؤوم الضُّحى ، والمراد أنها مُتْرَفَة مخدومة ، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله ـ كما ترى ـ معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يَرْدَفَه في الوجود، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مُتْرَفة لها من يكفيها أمرها ، رَدِف ذلك أن تنام إلى الضحى ؟ "[٣].

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام / أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق / محمود محمد شاكر ص ٦٦، ط / مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، تأليف د / سعيد حسن بحيري ص ٢٠٨ ، ط / مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م .

(٣) دلائل الإعجاز ص ٦٦ .

ولنأخذ مثالًا لذلك من تعاملاتنا اليومية ، وذلك إذا تشاجر اثنان وارتفعت أصواتهما فإننا نجد أن أحد الناس قد يتدخل بينهما لمحاولة فض هذا الشجار الذي وقع وتهدئة النفوس ، فنراه يقول لأحدهما : صلِّ على النبي ، فهو في هذه الحالة لا يقصد أن يقوم بالصلاة على النبي في حد ذاتها وإنما يقصد أن يسكت عن الكلام ويقوم بخفض الصوت ثم يصلي على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبذلك لا يعود للمشاجرة مرة أخرى .

٥ ـ الدلالة المقامية عند ابن يعيش :

الدلالة المقامية غير قاصرة على تحديد المعنى المعجمي أو المعنى الاجتماعي ، بل إن الدلالة المقامية قد تساعد في تعيين الوجه الإعرابي بقرينة الحال والمقام، يتبين ذلك من قول ابن يعيش: " المصدر ينتصب بالفعل وهو أحد المفعولات ، وقد يحذف فعله لدليل الحال عليه ، وهو في قولك على ثلاثة أضرب منها :

ضرب يحذف فعله ويجوز ظهوره فأنت فيه بالخيار إن شئت أظهرته ، وإن شئت أضمرته ، وضرب لا يجوز استعمال فعله ولا إظهاره ، وضرب ليس له الفعل ألبتة ... نحو قولك لمن لقيته وعليه وعثاء السفر ومعه آلته فعلمت أنه آيب من سفره فقلت : خيرَ مقدم ، أي : قدمت خير مقدم ... ومن ذلك إذا رأيت رجلًا يعد ولا يفي قلت : مواعيدَ عرقوب ؛ أي وعدتني مواعيد عرقوب ، فهو مصدر منصوب بوعدتني ، ولكنه ترك لفظه استغناء عنه بما فيه من ذكر الخلف ، واكتفاء بعلم المخاطب بالمراد "[1] .

(١) شرح المفصل للإمام موفق الدين يعيش بن على بن يعيش ١ / ١١٣ ، ط / مكتبة المتنبي بالقاهرة .

ب ـ الدلالة المقامية عند المُحْدَثِين :

الدرس اللساني المعاصر أعطى المقام ما يستحقه من الاهتمام والعناية، وتعددت مساراته وتنوعت تحليلاته حتى لمس علاقة اللغة بالاستعمال ، وأثر الموقف الكلامي في تحديد الدلالة ، وتناول القدرة على التواصل بطريقة ناجحة وهو ما أشار إليه اللغويون المحدثون بالكفاءة التواصلية ، مما جعل مصطلح المقام يأخذ حيزًا أكبر في الدرس الدلالي ، يقول د / تمام حسان : " حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ، ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم لا نستطيع أن ندعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي ؛ لأن الوصول إلى هذا المعنى يتطلب فوق كل ما تقدم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام"(١).

ومن ذلك يتبين أن المعنى الحرفي للكلمات غير كاف لبيان المعنى المقصود ، وذلك لأن الكلمات تحتاج إلى قرائن لتحديد المعنى المراد ، هذه القرائن تتمثل في الأحداث والمواقف والملابسات التي تساعد على إدراك المعنى .

أما ما يعنيه المقام بالنسبة لعلماء اللغة المعاصرين فقد تنوعت نظرتهم للمقام ، وذلك على النحو الآتي :

ذهب د / تمام حسان إلى أن المقام يشمل العناصر التالية : الزمان والمكان والأشخاص المشاركين، قال:" إن مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابًا وسلبًا ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان هو ما أسميه (المقام) ، وهو بهذا المعنى يختلف بعض الاختلاف

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٤٢ .

عن فهم الأولين الذين رأوه حالًا ثابتة (state) ثم جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال ، ويؤخذ المقام ـ كما فهمنا هنا ـ دائمًا من نسيج الثقافة الشعبية زمانيًا في تطورها من الماضي إلى الحاضر ، إذ يرثها جيل عن جيل فتكون عنصر الربط بين هذه الأجيال ، ومن ثم تكون الضمان الوحيد لاستمرار المجتمع في التاريخ ، ثم مكانيًا حيث يترابط بها أفراد الجيل الواحد من هذا المجتمع ما دام كل منهم قد نشأ في خضم هذه الثقافة ، وجعل منها منهجًا لحياته في المجتمع أو بعبارة أدق جعل منها مجرى لسلوكه لا يملك التحول عنه ... وليس المقصود بالثقافة هنا أي معنى يرتبط بالتعليم والتثقيف ، وإنما المقصود بها هنا ما يشمل مجموع العادات وطرق السلوك والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات والفلكلور الشعبي والأحاجي ووسائل التكسب والعواطف الاجتماعية والنظرة الجماعية إلى الأحداث والأشياء "[1].

وانتقد د / تمام فكرة المقام عند البلاغيين ورآها ثابتة وسالبة فقال: "لقد فهم البلاغيون (المقام) أو(مقتضى الحال) فهمًا سكونيًا قالبيًا نمطيًا مجردًا على نحو ما جرد النحاة أصل الوضع للحرف وللكلمة وللجملة ، ثم قالوا : لكل مقام مقال ... فهذه المقامات نماذج مجردة ، وأطر عامة ، وأحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها السلوك الحي ، ويصب في قالبها ، بهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني ؛ لأنه حال أو(static) ، فالذي أقصده بالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا ، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه ، كما يعتبر السامع والكلام نفسه ، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم (speech event) ، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٥١ .

ليشمل كل عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا والغايات والمقاصد ، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد ، أجد لفظ (المقام) أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (Context of situation) الذي يستعمله اللسانيون المحدثون "[١] .

فقوله : " هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه ، كما يعتبر السامع والكلام نفسه ، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم" هو عين ما تعنيه االمقامية من مرسل ومستقبل ومعرفة مشتركة بينهما ، وموقف اتصالي بجميع جوانبه .

كما تناول اللغويون الغربيون فكرة السياق بالبحث والدراسة وأعطوه الاهتمام اللازم ، وتناولوا السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي ، والذي يعنينا هنا هو السياق غير اللغوي المتمثل في سياق الموقف والسياق العاطفي والسياق الثقافي ، وسياق الموقف أو سياق الحال يقابله في العربية الدلالة المقامية أو دلالة المقام .

ويعد الأنثروبولوجي البولندي مالينوفسكي (١٨٨٤.١٩٤٢م) من أكثر العلماء الذين تركوا أثرًا واضحًا في مجال الأنثروبولوجيا وفي مجال اللغة ، وأعاد استعمال مصطلح سياق الحال (Context of Situation) الذي وضعه الأنثروبولوجي أ . م . هوكارت [٢].

(١) الأصول ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٣١٠ .

يقول د / تمام حسان : " لم يكن مالينوفسكي (Malinowski) وهو يصوغ مصطلحه الشهير (Context of Situation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها ، إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح " المقام " ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي"(١).

ثم جاء اللغوي الإنجليزي جون روبيرت فيرث(ج . ر. Firth) (١٨٩٠-١٩٦٠م) الذي أعطى سياق الموقف مزيدًا من العناية والاهتمام ، وأصحاب هذه المدرسة يرون أن معاني الكلمات تحتاج إلى معرفة السياقات والمواقف التي تذكر فيها خاصة إذا كان سياقًا غير لغوي ، لكن يؤخذ على هذه المدرسة أن حديثها عن سياق الموقف (Context of Situation) كان غير محدد ومبهم ، يقول د / أحمد مختار عمر : " لم يكن فيرث محددًا في استخدامه للمصطلح السياق (Situation) مع أهميته ، كما كان حديثه عن الموقف (Context) غامضًا غير واضح ، كما أنه بالغ كثيرًا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق "(٢) .

أما عن العناصر المكونة لسياق الحال عند هذه المدرسة فإنها تتمثل فيما يلي :

١ . شخصية المتكلم والسامع ، وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع . إن وجدوا . وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٧٢ .

(٢) علم الدلالة ص ٧٣ .

٢ . العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي .

٣ . أثر النص الكلامي في المشتركين كالإقناع أو الألم أو الضحك .

٤ . سياق الحال يشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية [١].

ثم جاء اللغوي الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) (١٨٨٧. ١٩٤٩ م) وهو رائد المدرسة السلوكية واستطاع أن يلفت الانتباه إلى أهمية المقام والاستجابة التي يستدعيها من المستمع [٢] ، يتضح ذلك من تجربة جاك وجيل المشهورة ، والتي أبرز فيها أهمية الظروف والملابسات في إنتاج الحدث اللغوي ، وفي إدراك بعده الدلالي . أيضًا . وعلى هذا الأساس حينما أراد تعريف المعنى ربطه بـ " الموقف أو المقام الذي يقوم فيه المتكلم بنطق كلمة أو جملة ، ورد الفعل والاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع " [٣] .

أما العالم الهولندي فان دايك فقد ذهب إلى أن المعاني تحتاج إلى وجود المنطوق اللغوي أو النص اللغوي ثم مستخدمي أو مستعملي تلك اللغة من متكلم وسامع والحدث الذي ينجزونه ثم القصد الذي يرغبون في تحقيقه ثم العلاقات الاجتماعية المشتركة بينهما يقول : " تدخل في السياق إلى جانب المنطوق اللغوي ذاته مقولات مثل : مستخدمي اللغة، أي : المتكلم والسامع والحدث الذي ينجزونه ، فمن خلاله ينتجون منطوقًا أو يستمعون إليه ، والنظام

(١) تنظر هذه العناصر في كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٣١١ .

(٢) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة نايف خرما ص ٢٩٥ ، ط / عالم المعرفة .

(٣) ينظر : نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية ودلالية تأليف / عبد النعيم خليل ص ٢٧٤ ، ط / دار الوفاء .

اللغوي الذي يستخدمونه أو يعرفونه ، وبخاصة ذلك الذي يعرفون فيما يتصل بالفعل الكلامي ، ويقصدون ويخططون ، وإلى جانب ذلك مواقع مستخدمي اللغة فيما بينهم من نمط العلاقات الاجتماعية بين الأدوار وفي المقابل أنظمة المعايير الاجتماعية والالتزامات والعادات " [١] .

وفرق فان دايك بين النية والقصد فقال : " يجب أن نفرق بين النوايا والمقاصد ؛ إذ إن المقصد ينسحب فقط على إنجاز عمل بعينه على حين تنسحب النية على الوظيفة التي يمكن أن تكون لهذا العمل أو هذا الحدث ، فيمكنني أن أنجز الحدث (الغمز بالعين) عن وعي ، وإن لم توجد لدي نية لتقديم علامة لشخص آخر ، أما حدث فتح الباب فإني أنجزه بنية أن أدخل أو أخرج "[٢].

وهنا يتبين لنا أن هناك فرقًا بين القائلين بمراعاة المقام والسياق الخارجي من اللغويين العرب وبين القائلين بمراعاة المقام والسياق الخارجي من اللغويين الغربيين ، ذلك الفرق الذي يتمثل في أن اللغويين الغربيين" يعتمدون في التحليل اللغوي على لغتهم المعاصرة فقط ، يقول هلمنج مؤكدًا هذا المعنى : إن الدراسات اللغوية التركيبية تبدو غير ممكنة على الإطلاق إلا من خلال شخص يستعمل اللغة Informant ، وهذا الشخص لا بد وأن يتحدث اللغة المدروسة باعتبارها اللغة الأم ، ويستطيع الإجابة على التساؤل الخاص بما إذا كان قولان

---

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تأليف فان دايك ترجمه إلى العربية د / سعيد حسن بحيري ص ١١٨ ط / دار القاهرة للكتاب سنة ٢٠٠١ م .

(٢) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تأليف فان دايك ص ١٢٣ .

متحدين في المعنى أو مختلفين ، وما إذا كان هذا التعبير أو ذاك ممكنًا في هذه اللغة أو غير ممكن .

أما اللغويون العرب فقد امتدت أنظارهم إلى ما وراء اللغة المستعملة ، وحاولوا الكشف عن المعنى في نصوص الفصحى في إطار معرفتهم بظروف السياق الخارجي إذا أتيحت لهم معرفة تلك الظروف " [1] .

(١) دلالة السياق د / عبد الفتاح البركاوي ص ٦٦ .

المبحث الثالث

الدلالة المقامية عند المفسرين

أدرك المفسرون ومنذ وقت مبكر أن القرائن والأحوال والوقائع والأحداث لها دور كبير في بيان المعاني المرادة، وبسطوا الحديث عن ذلك في مجال أسباب النزول، ولا شك أن ذلك يعد كاشفا ومبيناً وموضحاً للموقف والحال الذي ذكر فيه الكلام وكاشفاً ـ أيضاً ـ للدلالات المستفادة من الألفاظ في ضوء هذه المعطيات الخارجية عن النص في حد ذاته ، يقول الإمام الزركشي : " واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند ، والثاني يُنظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم ، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه... وأما الثالث وهم رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي ﷺ ولا إلى أحد من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فحيث جاز التقليد فيما سبق، فكذا هنا، وإلا وَجَبَ الاجتهاد، الثاني ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق " [(١)] .

فالصحابة هم أعلم الناس بالقرائن والأحوال المصاحبة لنزول النص ، وعرفوا وأدركوا فهم الحاضرين والسامعين لهذه النصوص ، ولا شك أن هذا

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/ ١٧٢، ط / دار التراث بالقاهرة ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ١٨٠ ، ط / مكتبة دار التراث بالقاهرة .

الفهم أقرب إلى المعاني المرادة من أي فهم آخر يقول الإمام ابن تيمية عن الصحابة : " وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه ، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً " (١) .

ومعرفة السياق والموقف الذي ورد فيه الكلام من القواعد المهمة في فهم المعاني ، والقطع بالمعنى المراد وانتفاء احتمال غير المقصود ، يتبين ذلك من قول الزركشي في معرض حديثه عن الدلالة السياقية قال: " فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ❶➔🗀🗋 ①□☼🛇❶ 🕮❒☼💣✺ ✂🗋🗋➔❷⛒❑☹↖ ✂🗋🗋➔🖂❽❸🗷❽↓ ✂🗋🗋🗵❷❑☹↖ ﴾(٢)، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير" (٣).

وقد صرح أصحاب علوم القرآن الكريم أنه مما ينبغي على المفسر أن يحيط به علمًا المقامات والسياقات (لغوية وغير لغوية) والملابسات التي صاحبت نزول القرآن الكريم حتى يتمكن من فهم ألفاظ القرآن بما يتفق وطرائق العرب في النظم والفهم والتأويل ، وقد ذكر الزركشي في كتابه البرهان فصلًا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ١٣ / ٣٦٢ ، ط / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م .

(٢) الدخان الآية / ٤٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١ / ١٢٧ .

بعنوان " فصل في اختلاف المقامات ووضع كل شيء في موضع يلائمه " جاء في هذا الفصل قوله : " مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلاف المقامات ، وذكر في كل موضع ما يُلائمه ، ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به ، وإن كانت مترادفة ، حتى لو أبدل واحدٌ منها بالآخر ذهبت تلك الطلاة ، وفاتت تلك الحلاوة "[1] .

وساق الإمام الزركشي بعض الأمثلة لتلك المقامات التي ينبعي أن تراعى في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم ، قال : " وأما بالنسبة إلى المقامات فانظر إلى مقام الترغيب وإلى مقام الترهيب ، فمقام الترغيب كقوله تعالى : ﴿ ﴾[2] نجده تأليفاً لقلوب العباد ، وترغيبًا لهم في الإسلام ... وأما مقام الترهيب فهو مضاد له كقوله تعالى:﴿ ﴾[3] ويدل على قصد مجرد الترهيب بطلان النصوصية من

(١) البرهان ٢ / ١١٨ .

(٢) الزمر الآية / ٥٣ .

(٣) النساء الآية / ١٤ .

ظاهرها على عدم المغفرة لأهل المعاصي؛ لأن من للعموم ؛ لأنها في سياق الشرط فيعم جميع المعاصي ، فقد حكم عليهم بالخلود وهو ينافي المغفرة " [1] .

ولا يكتفي المفسر بفهم ظاهر النص ، بل لابد من إدراك المعاني الخافية والدلالات الغامضة التي تفهم بإمعان النظر ودقة الملاحظة ، يقول الإمام الزركشي : " ومن أحاط بظاهر التفسير . وهو معنى الألفاظ في اللغة . لم يكفِ ذلك في فهم حقائق المعاني ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ ❐◆✍◆ ❻ ✍◆⓿⌧✸ ❁ ⓫ ⓭⌧ ❻ ✍◆⓿⌧✸ ❁ ❐◆ ❻ ✍◆❼ ✂ ✎ ✈ ❻ ◆✌ ❼ ◆ ❻ ⓿ ⌧ ◆ ❐ ﴾ [2]، فظاهر تفسيره واضح، وحقيقة معناه غامضة ، فإنه إثبات للرمي، ونفي له ، وهما متضادان في الظاهر ، ما لم يفهم أنه رمَي من وجه ، ولم يرمِ من وجه ، ومن الوجه الذي لم يرمِ ما رماه الله . عز وجل . "[3] .

والمفسر لا بد أن يعتمد على أمرين في أثناء تفسيره لمعاني القرآن أحدهما : معرفة لغة العرب وطرق النظم وأساليب التركيب ، والآخر : القرائن والملابسات التي أحاطت بالنص أثناء نزوله وفهم الحاضرين للمعاني المقصودة ، فمن اقتصر على أحد هذين الأمرين فقد أصبح مطية للزلل في فهم مدلول النص القرآني ، يقول ابن تيمية : " قوم اعتقدوا معاني ، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها ، والثانية قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب ، من غير نظر إلى متكلم القرآن ، والمنزل عليه والمخاطب به ، فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه

(١) البرهان ٢ / ١١٩ ، ١٢٠ .
(٢) الأنفال من الآية / ١٧ .
(٣) البرهان ٢ / ١٥٦ .

ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، والآخرون راعوا مجرد اللفظ ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام "(١)

ولا بد من مراعاة الأمرين معًا وهما : القرائن اللفظية والقرائن المقامية أو الحالية ، ويقرر ابن تيمية أنه لا بد من الاعتماد على تلك القاعدة: " فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه ، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية " (٢) .

والمفسر بعد معرفته بدلالة الألفاظ في لغة العرب لا بد وأن يراعى قصد المتكلم، وحال المخاطب، وسياق الكلام، وهى عناصر داخلة في صميم الدلالة المقامية ، يقول الطاهر بن عاشور : " ومما يجب التنبيه له أن مراعاة المقام في أن ينظم الكلام على خصوصيات بلاغية هى مراعاة من مقومات بلاغة الكلام وخاصة في إعجاز القرآن ، فقد تشتمل آية من القرآن على خصوصيات تتساءل نفس المفسر عن دواعيها وما يقتضيها فيتصدى لتطلب مقتضيات لها ربما جاء بها متكلفة أو مغصوبة ، وذلك لأنه لم يلتفت إلا إلى مواقع ألفاظ الآية ، في حال أن مقتضياتها في الواقع منوطة بالمقامات التي نزلت فيها الآية (٣) "

وقد تقرر لدى ابن تيمية أن " الأسماء ثلاثة أنواع : نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ، ونوع يعرف

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٩٠ .

(٢) السابق ٦ / ١٤ .

(٣) التحرير والتنوير تأليف / محمد الطاهر بن عاشور ١ / ١١١ ، ط / الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤ م .

حده بالعرف كلفظ القبض ، ولفظ المعروف في قوله تعالى : ﴿ ﴾[1] " [2].

ولا يمكن أن نغفل جهود المفسرين في كثير من المواضع فقد قدموا وقفات أمام آيات قرآنية واقتربوا كثيراً من الرؤية المقامية الحديثة ، يقول د/ تمام حسان : " كانت أسباب النزول هامة في تفسير آي القرآن ، وبسببه تتطلب الإشارات والتلميحات الواردة في النصوص شرحًا لما تشير إليه أو تلمح له ، فيكون هذا الشرح تحديدًا للمقام ، كل ذلك يمثل عرضًا لعناصر مقام حي لا لنماذج ساكنة أو بعبارة أخرى : يمثل أحداثًا تتصل بالنص لا أطرًا وقوالب عامة يصب فيها المقال"[3] .

وينبغي على من رام تفسير ألفاظ القرآن الكريم أن يكون عالمًا بلغة العرب وطرائقهم في النظم والتركيب ؛ لأن الله تعالى أنزله بلسانهم ، وخاطبهم بما يناسب فهمهم ، وما تدركه عقولهم ، كما ينبغي على المفسر أن يكون عارفًا بالمحيط الاجتماعي الذي نزل فيه القرآن الكريم والعادات والتقاليد السائدة لدى من نزل عليهم القرآن ، ويضاف إلى ذلك معرفة المأثورات الشعبية والتاريخ حتى يتمكن من فهم معاني القرآن بما يعتقد أنه يتفق ومراد الله تعالى منها .

(١) النساء من الآية / ١٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٨ .

(٣) الأصول ص ٣٠٥ ، والمعاجم اللغوية د / محمد أحمد أبو الفرج ص ٩٨ .

المبحث الرابع
الدلالة المقامية والتداولية

أشار بعض الدارسين إلى أن المصطلح الإنجليزي (pragmatics) يعني علم المقامية[١] ، وهناك نقاط التقاء وتداخل بين الدلالة المقامية والتداولية ، حيث إنهما يشتركان في الاعتراف بدور قصد المتكلم في تحديد مدلول الكلمات والجمل وكذلك دور المتلقي والظروف والملابسات التي تحيط بجو النص .

فالدلالة المقامية جزء من الأفعال الكلامية التي هى جانب من جوانب البحث التداولي ، يقول د / محمود أحمد نحلة : " ويكاد الباحثون يتفقون على أن البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب وهى : الإشارة (deixis)، والافتراض السابق (presupposition) ، والاستلزام الحواري (conversational implicature) ، والأفعال الكلامية (speech acts) "[٢] .

وقد أشار د / صلاح فضل إلى نقاط الالتقاء والتوافق بين التداولية والدلالة المقامية التي أطلق عليها القدماء مقتضى الحال فقال : " وبهذا تصبح التداولية العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم ، مما يطلق عليه سياق النص ، ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة " مقتضى الحال " وهى التي أنتجت المقولة الشهيرة

(١) ينظر :https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) آفاق جديدة ص ١٥ .

في البلاغة العربية " لكل مقام مقال " ثم أشار بعد ذلك إلى أن الرومان سبقوا العرب في صياغة هذه القاعدة ، وذلك على يد الروماني شيشيرون قبل الميلاد بمائة عام تقريبًا فقال : " وإن كنا نعثر على سابقتها الواضحة في عبارات " شيشيرون " (Ciceron) الروماني الذي يقول في كتابه عن الخطابة : " إن الرجل البليغ يجب أن يقدم قبل كل شيء البراهين على حكمته ، ويتكيف مع مختلف الظروف والشخصيات ، وأعتقد بالفعل أنه لا يجب أن يتكلم دائمًا بنفس الطريقة أمام الجميع ، ولا ضد كل شيء ، ولا لصالح أي شيء ، عليه إذن لكي يكون بليغًا أن يكون جديرًا بأن يجعل لكل مقام مقالًا لغويًا ملائمًا له " [(١)] ، ولكن ماذا يريد أن يقول د / صلاح فضل ، هل يريد أن يقول إن علماء العربية أخذوا هذه المقولة من شيشيرون واقتبسوها منه ، والفضل يرجع إليه ؟، ألم يقرأ د / صلاح فضل قول الحطيئة :

تَحَنن عليَّ هداكَ المليكُ فإنَّ لكلِ مقامٍ مَقالا[(٢)]

وهو شاعر جاهلى ، أم أنه كان مطلعًا على كتاب الخطابة ويعرف ترجمته ؟ !

والدلالة المقامية تهتم بالشروط اللازمة لكي تكون الألفاظ اللغوية والكلمات مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم " وهو ما عبر عنه القدماء بقولهم (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) ،

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص د/ صلاح فضل ص ٢١ ، ط / سلسلة عالم المعرفة سنة ١٩٩٢ م .

(٢) من المتقارب في ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تح / نعمان أمين طه ص ٢٢٢ ، ط / مصطفى البابي الحلبي .

يقول بشر بن المعتمر : " وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين (من ناحية) وأقدار الحالات (من ناحية أخرى) فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة مقامًا حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك المقامات " (١) .

هذا الكلام من أنفس ما قيل في الدراسة المقامية ، حيث ربط بين موقف المتكلم وقدره وبين المتلقي ومنزلته ، ثم ربط كل ذلك بالرسالة اللغوية التي تلائم المتلقي والموقف معًا .

كما لاحظ الإمام بشر بن المعتمر أمرًا من الأهمية بمكان وهو الحالة الكلامية ، والموقف الحي المتحرك ، فهو لا يتكلم أن أنماط وقوالب جامدة ، وإنما يتحدث عن حالة قائمة ، وفطانة المتكلم هى التي تحدد أنواع المعلومات وطريقة توصليها للمتلقي بالطريقة التي تناسبه وتتفق مع طبقته الاجتماعية ، قال : " إن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي ، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات"(٢).

ثم أردف هذا الكلام بقاعدة هى الأساس في علم البلاغة كما أنها أساس في دراية المقام فقال:"مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال " (٣).

(١) البيان والتبيين ١ / ١٣٩ .
(٢) السابق ١ / ١٤٤ .
(٣) السابق ١ / ١٣٦ .

وإذا نظرنا إلى تعريف د / محمود أحمد نحلة للتداولية نجد نقاط التقاء وعناصر مشتركة بين دلالة المقام والتداولية فقد عرف التداولية بقوله :" دراسة اللغة في الاستعمال (in use) أو في التواصل (in interaction)؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ، ولا السامع وحده ، فصناعة المعنى تتمثل في تداول (negotiation) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي ،واجتماعي ، ولغوي) وصولًا إلى المعنى الكامن في كلام ما " [١]

وكل هذا جعل التداوليين يفسرون عملية إنتاج الكلام ويربطونها بالمخاطب والمتلقي الذي يفكك الرسالة اللغوية ليصل إلى مقصد المتكلم ، وبالتالي فإن عملية إنتاج الكلام وفهمه مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمقام الذي يؤطر عملية إنتاج الكلام ، ومحاولة فهم تلك الصيغ الكلامية مرهونة بمعرفة كل الملابسات والظروف التي أحاطت بها ؛ " لأن المعرفة اللغوية وحدها لا تكفي في فهم القولات اللغوية ، وتأويلها ، وأن المتلقي دائمًا في حاجة إلى الوقوف على ملابسات القولة ، والأحوال التي قيلت فيها ، لكي يبلغ مراد المتكلم من كلامه "[٢] .

وقد عرف د / أحمد المتوكل التداولية بقوله : " مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين ، وأهمها زمان التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب وخاصة الوضع التخابري القائم بينهما ، أي : مجموعة المعارف التي

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر د / محمود أحمد نحلة ص ١٤ .

(٢) وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى محمد محمد يونس علي ص ١١٨ .

تشكل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب " ثم قال : " إلى هذا التعريف العام يمكن أن نُرجع مختلف المصطلحات الواردة في علوم اللغة العربية كمصطلحي " مقتضى الحال " و " قرائن الأحوال " مثلًا " [1] .

وقد أشار اللغويون إلى بعض عناصر المقام ومنها :

أ . المتكلم

ب . المتلقي

ج . ملابسات الكلام

د . الزمان والمكان

وإذا قارنا بين هذه العناصر وبين العناصر المطلوبة في التداولية اللغوية وجدنا أن بين المقامية والتداولية تداخل وتشابك في كثير من العناصر.

(١) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، د / أحمد المتوكل ص ١٧٢ ، ط / دار الأمان بالرباط سنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

المبحث الخامس

الدلالة المقامية في سورة البقرة

من المعلوم أن المعنى المعجمي قاصر في كثير من الحالات عن توصيل المعنى المقصود أو المراد ، ولا بد ـ والحالة هذه ـ من اللجوء إلى الأحداث المصاحبة للكلام ، وما يحيط به من الملابسات والماجريات ، والدلالة المقامية هى التي تُستفاد من تلك العناصر المحيطة بالجملة أو النص .

والعناصر المقامية هى التي تكون من خارج البنية اللغوية وتؤثر في بيان المعنى وتحديد المقصود، وسورة البقرة من السور المدنية التي تعنى ببيان الأحكام والتشريعات ، ففيها بيان أحكام الصوم وأحكام الحج وغيرها ، وبالنظر في السورة الكريمة وجدت أن معرفة معانيها يحتاج إلى قدر كبير من المعرفة غير اللغوية ، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم كل هذه الأمور وغيرها لم نفهم مضامينها إلا بفعل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهناك كثير من المعاني لا تتضح إلا بمعرفة الأحداث والملابسات التي أحاطت بالنص في أثناء نزوله ، وفيما يلي مزيد من البيان والتوضيح :

أولًا ـ أسباب النزول :

أسباب النزول من أبرز القرائن التي تحدد المعنى المقصود ، وتخصص العام وتقيد المطلق ، ولذا " كانت أسباب النزول هامة في تفسير آي القرآن ، وبسببه تتطلب الإشارات والتلميحات الواردة في النصوص شرحًا لما تشير إليه أو تلمح له ، فيكون هذا الشرح تحديدًا للمقام ، كل ذلك يمثل عرضًا لعناصر

مقام حي لا لنماذج ساكنة أو بعبارة أخرى : يمثل أحداثًا تتصل بالنص لا أطرًا وقوالب عامة يصب فيها المقال" [(١)] .

ولذا فرق أصحاب علوم القرآن بين أن يقال : نزلت هذه الآية في كذا وهو يريد الحكم الشرعي الذي نزلت من أجله وبين أن يقال : نزلت هذه الآية في كذا وهو يريد السبب الذي أنزلت من أجله ، فالأول إخبار بالحكم الذي نزلت به الآية وليس علة للنزول ، أما الآخر فهو علة للنزول ، يقول الزركشي : " قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ، فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها " [(٢)] ، وحدد الإمام السيوطي مفهوم سبب النزول في قوله : " قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه " [(٣)] .

أما الأمثلة التي يظهر فيها أثر أسباب النزول في بيان المعنى المراد فيمكن بيانها فيما يأتي :

١ . قوله تعالى : ﴿ ♎➔⇗ ✍♦♊ ☜☒♎♍ ⇱♦⑨⇦❒☒✁ ♏♋♑♐♏♋ ✂⇗♍❸⇗♎③⇗• ﴾ [(٤)]

لا نستطيع أن نعرف أو نفهم من السياق اللغوي في الآية الكريمة من هو عدو جبريل ، وإنما يتبين ذلك من سبب نزول الآية الكريمة وملابسات نزولها ، يقول ابن فارس " وَفِي كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ مَا لا يعلم معناه إِلاَّ بمعرفة قصته، قوله جلّ ثناؤه : ﴿ ♎➔⇗ ✍♦♊ ☜☒♎♍

---

(١) الأصول ص ٣٠٥ .

(٢) البرهان ١ / ٣٢٣١ .

(٣) الإتقان ١ / ٩٠ .

(٤) البقرة من الآية / ٩٧ .

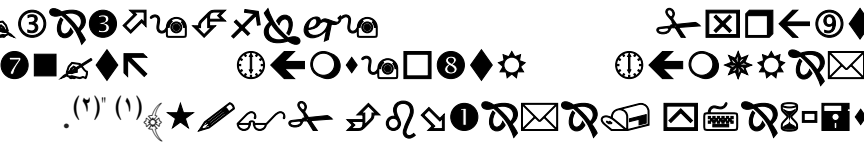

أما عن ملابسات نزول الآية الكريمة فقد ذكرها الإمام الواحدي في قوله:

" عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: أَقْبَلَتِ اليَهودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَقَالوا: يَا أَبَا القَاسِمِ نَسْأَلُكَ عن أَشْيَاء فَإِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ، أَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فإِنَّه ليس من نَبِيٍّ إِلَّا يَأْتِيهِ مَلَكٌ من عندِ رَبِّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – بِالرِّسَالَةِ بالوحيّ فَمَنْ صَاحِبُكَ ؟ قَالَ: "جِبْرِيلُ" قَالُوا: ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَبِالْقِتَالِ، ذَاكَ عَدُوُّنَا لَوْ قُلْتَ مِيكَائِيلُ الذي ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

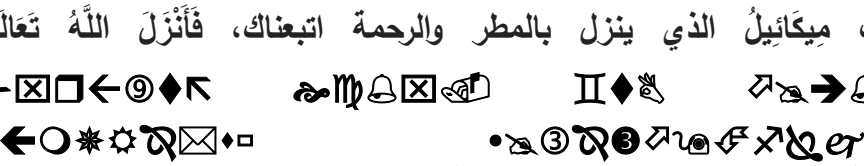

.

٢ . قوله تعالى : ﴿

(١) البقرة من الآية ٩٧ .

(٢) الصاحبي ص ٧٥ .

(٣) البقرة من الآية / ٩٨ .

(٤) البقرة من الآية / ١١٥ .

ظاهر هذه الآية يفيد أن استقبال القبلة في الصلاة ليس بواجب ، إذ ظاهر النص معناه أينما توجهتم فصلاتكم صحيحة ، ولكن هذا مقيد بصلاة النافلة في السفر ، يقول ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ نزلت هذه الآية في صلاة النافلة في السفر حيث توجهت بالإنسان دابته " [(١)] ، وقيل : إن سبب نزول هذه الآية هو ما ذكره الواحدي عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أنه قال : كنا نصلي مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السفر في ليلة مظلمة ، فلم ندر كيف القبلة ، فصلى كل رجل منا على حِياله ، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت "[(٢)].

وقد ذكر السيوطي المعنى الكامن في الآية الكريمة فقال : " فإنا لو تُرِكنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلِّيَ لا يجب عليه استقبال القبلة سَفَرًا ولا حضرًا ، وهو خلاف الإجماع ، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر ، أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ " [(٣)] .

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تح / عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ١ / ٣٢٨ ، ط / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م .

(٢) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨ هـ)، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأرغياني ، تح د/ ماهر ياسين الفحل ص ١٤٤ ، ط / دار الميمان الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م .

(٣) الإتقان ٢ / ٨٤ .

٣ . قوله تعالى : ﴿ ﴾ [١]

فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض ، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكًا بذلك ، " وقد ردت عائشة ـ رضى الله عنها ـ على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها ، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما ؛ لأنه من عمل الجاهلية " [٢] ، يقول الزركشي : " السادس : معرفة النزول ، وهو من أعظم المعين على فهم المعنى ... وقد فهم من قوله تعالى: ﴿ 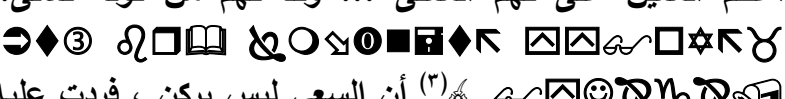 ﴾[٣] أن السعي ليس بركن ، فردت عليه عائشة ذلك وقالت : لو كان كما قلت لقال : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما " وثبت أنه أتى بهذه الصيغة ؛ لأنه كان وقع فزع في قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام ، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به ، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم ، وأمرهم بالطواف "[٤] .

(١) البقرة من الآية / ١٥٨ .
(٢) الإتقان ٢ / ٨٤ .
(٣) البقرة من الآية / ١٥٨ .
(٤) البرهان ٢ / ٢٠٢ .

وقد أشار ابن كثير إلى سبب نزول هذه الآية فقال : " قال الشعبي : كان إساف على الصفا ، وكانت نائلة على المروة ، وكانوا يستلمونها فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما ، فنزلت هذه الآية " (١) .

أما الواحدي فقد فصَّل القول في سبب نزول هذه الآية فقال: " وقال عمرُو بْنُ حُبْشِيٍّ: سَأَلْتُ ابن عُمَرَ عن هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: انْطَلِقْ إلى ابن عبَّاسٍ فَسَلْهُ فَإِنَّه أَعْلَمُ من بقي بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى محمدٍ – ﷺ – فأَتَيْتُه فَسَأَلْتُه، فَقَال: كَانَ عَلَى الصَّفَا صنَمٌ عَلَى صورَةِ رجلٍ يُقَالُ له: إِسَافٌ، وَعَلَى الْمَرْوَةِ صَنَمٌ عَلَى صورَةِ امْرَأَةٍ تُدْعَى نائلةَ، زعمَ أَهلُ الكِتَابِ أَنَّهما زَنَيَا فِي الْكَعْبَةِ فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ تعالى حجرين، ووضعهما عَلَى الصَّفَا وَالمروَةِ لِيُعتَبَر بِهِما، فَلَمَّا طَالَتِ المُدَّةُ عُبِدَا من دُونِ اللَّهِ تعالَى، فَكَانَ أَهلُ الجاهِلِيةِ إِذا طافُوا بَيْنَهما مسحُوا علَى الْوَثَنَيْنِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسلامُ وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ كَرِهَ المسلِمونَ الطَّوَافَ لِأَجلِ الصَّنَمَيْنِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى هذه الْآيَةَ" (٢).

ثانياً ـ خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر :

إن دلالة السياق اللغوي وغير اللغوي لهى أقوى القرائن التي تبيين المجمل والقطع بانتفاء غير المراد ، يقول الزركشي : دلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، تنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ / أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير تح / سامي محمد السلامة ١ / ٤٧٠ ، ط / دار طيبة للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

(٢) أسباب النزول للواحدي ص١٥٤ .

أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظراته ، وانظر إلى قوله تعالى ﴿ ❶➔🗀🖻 ❶🕽☼□①🖘 🕮❐☼💣❁ ﴾[1] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[2] .

ومن أبرز المواضع التي يأتي فيها الكلام على خلاف ظاهره أمران أحدهما : الاستفهام ، والآخر : الأمر، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أ ـ خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر:

الأصل في الاستفهام أنه طلب فهم ما ليس عند المُسْتَفْهِم ، وفي اصطلاح علماء اللغة " استعلام ما في ضمير المخاطب ، وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور " [3] ، والاستخبار بمعنى الاستفهام ، فهو طلب حصول ما ليس عند المستخبر ، يقول ابن فارس : " الاستخبارُ طلب خُبْر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام " [4]

ومن اللغويين من فرق بين الاستخبار والاستفهام ، فالاستخبار يكون عن طلب الخبر ، فإذا لم يحصل وتكرر طلب حصوله فهو الاستفهام ، فالطلب

(١) الدخان من الآية / ٤٩ .

(٢) البرهان ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) كتاب التعريفات للإمام / علي بن محمد الجرجاني ص٧ ، ط / المطبعة الخيرية بجمالية مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

(٤) الصاحبي ص ١٨٦ ، والبرهان ٢ / ٣٢٦ .

الأول استخبار والطلب الثاني استفهام ، يقول ابن فارس : " وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجابُ بشيء، فربّما فهمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم تقول: أفهمْني ما قتله لي، قالوا: والدليل على ذلك أن الباري ـ جل ثناؤه ـ يوصَف بالخُبْر ولا يوصف بالفهم ، وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه كسؤالك عما لا تعلمه، فتقول : ما عندك ؟ ومن رأيتَ ؟."(١)

وإذا لم يكن الاستفهام بهذا المعنى الذي سبق وهو طلب حصول ما ليس عند المستفهم ، فقد خرج عن معناه الظاهر ، إلى معنى آخر يفهم من سياق الكلام ومن قصد المتكلم ، يقول د / أحمد المتوكل : " وقد انتبه اللغويون العرب القدماء ، خاصة منهم علماء البلاغة إلى أهمية العناصر المقامية بالنظر إلى المقال وتحديد خصائصه ، ونورد هنا من مفتاح العلوم للسكاكي مثالين لذلك هما : أولًا خروج الاستفهام من السؤال إلى غيره وثانيًا : تصنيف الخبر إلى ثلاثة أضرب " (٢) .

وقد يأتي الكلام وظاهره الاستفهام أو الاستخبار ، لكن المعنى الكامن في العبارة لا يقصد به ذلك ، وإنما يقصد به معان أخرى بحسب ما يناسب المقام وقرائن الأحوال ، ومن ذلك ما يلي :

١ ـ الإنكار :

(١) الصاحبي ص ١٨٦ ، والبرهان ٢ / ٣٢٦ .

(٢) المنحى الوظيفي ص ١٧٢ .

قد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار والنفي ، وضابط ذلك أن يكون ما بعد أداة الاستفهام منفي ، ولذلك تأتي بعده أداة الاستثناء (إلا) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ﴾[1]" .

والاستفهام هنا ليس على بابه وإنما معناه الإنكار والنفي ، يقول الفخر الرازي : " قوله " من ذا الذي " استفهام معناه الإنكار والنفي ، أي : لا يشفع عنده أحد إلا بأمره ؛ وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم"[2] .

وقد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي وهو طلب معرفة شيء غير معلوم إلى معنى الإنكار والتوبيخ ويكون معناه : ما ينبغي أن يكون ، يقول سيبويه : " أتميميًا مرة وقيسيًا أخرى ، وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل فكأنك قلت : أتتحول تميمياً مرة وقيسياً أخرى ، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل وليس يسأله

(١) البقرة من الآية / ٢٥٥ .

(٢) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام / محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ٧ / ١٠ ، ط / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

مسترشداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ولكنه وبخه بذلك ... " [1] .

ومن ذلك . أيضًا . ما جاء في قوله تعالى : ﴿ 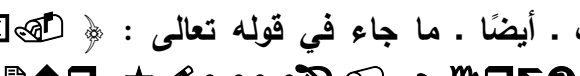 ﴾[2]

فالاستفهام في الآية الكريمة ليس على ظاهره ، وإنما معناه الإنكار والتعجب ، يقول الإمام السكاكي " وعليه قوله تعالى ﴿ 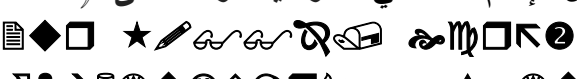 ﴾[3] بمعنى التعجب، ووجه تحقيق ذلك هو: أن الكفار في حين صدور الكفر منهم لا بد من أن يكونوا على إحدى الحالين : إما عالمين بالله ، وإما جاهلين به ، فلا ، ثالثة فإذا قيل لهم : ﴿ ﴾ ، وقد علمت أن (كيف) للسؤال عن الحال ، وللكفر مزيد اختصاص بالعلم بالصانع وبالجهل به ، انساق إلى ذلك فأفاد : أفي حال العلم بالله تكفرون ؟ أم في حال الجهل به ؟ ثم إذا قيد ﴿ ﴾ بقوله ﴿ ﴾

---

(١) الكتاب ٣ / ٣٤٣ .

(٢) البقرة الآية / ٢٨ .

(٣) البقرة من الآية / ٢٨ .

﴿ ﴾[1] وصار المعنى: كيف تكفرون بالله ، والحال حال علم بهذه القصة، وهي أن كنتم أمواتًا فصرتم أحياء ، وسيكون كذا وكذا ، صير الكفر أبعد شيء عن العاقل ، فصار وجوده منه مظنة التعجب، ووجه بعده هو أن هذه الحالة تأبى أن لا يكون للعاقل علم بأن له صانعًا قادرًا عالمًا حيًا سميعًا بصيرًا موجوداً غنيا في جميع ذلك عن سواه، قديمًا غير جسم ولا عرض، حكيمًا خالقًا منعمًا مكلِّفًا، مُرْسِلا للرسل باعثًا مثيبًا معاقبًا، وعلمه بأن له هذا الصانع يأبى أن يكفر، وصدور الفعل عن القادر ، مع الصارف القوي مَظِنة تعجُّب وتعجيب وإنكار وتوبيخ فصح أن يكون قوله تعالى : ﴿ ﴾ إلى آخر الآية تعجبًا وتعجيبًا وإنكارًا وتوبيخًا " [2].

وقد أشار الخطيب القزويني إلى أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ ﴾[3] معناه التوبيخ والتعجيب جميعًا فقال: " أي : كيف تكفرون ؟ والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ؛ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبئ عن الانهماك في الغفلة أو الجهل، وأما التعجب؛ فلأن هذه

(١) البقرة من الآية / ٢٨ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٤٢٤ . ٤٢٥ .

(٣) البقرة الآية / ٢٨ .

الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم الصانع، وعلمه به يأبى أن يكفر، وصدور الفعل مع الصارف القوي مَظِنة تعجب " [١].

ومن ذلك . أيضًا . قوله تعالى :﴿ 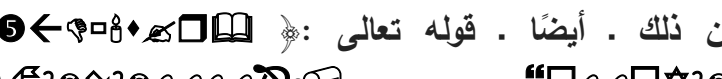 [٢] .

فالاستفهام هنا ليس على بابه ، وإنما خرج من أصل معناه ، إلى معنى الإنكار والتوبيخ ، يقول السمين الحلبي : " الهمزة للإنكار والتوبيخ ، أو للتعجب من حالهم " [٣] .

ويتبين مما سبق أن قرائن الأحوال لها دور كبير في بيان المعاني الخافية التي لا تفهم من ظاهر النص ، يقول السكاكي : " واعلم أن هذه الكلمات كثيراً ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونة قرائن الأحوال"[٤] .

٢ ـ التقرير :

ويخرج الاستفهام من معناه الحقيقي الذي هو طلب فهم ما لا يعلمه المتكلم إلى معنى آخر وهو التقرير ، والتقرير معناه : " حملُك المُخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده "[١] .

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ص ١١٦.

(٢) البقرة من الآية / ٤٤ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف / أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تح / أحمد محمد الخراط ، ١ / ٣٢٧ ، ط / دار القلم بدمشق .

(٤) مفتاح العلوم ص ٤٢٤ .

" وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفي ، وقد دخل على المنفي ونفي المنفي إثبات ، والذي يقرر عندك أن معنى التقرير الإثبات قول ابن السراج: فإذا أدخلت على (ليس) ألف الاستفهام كانت تقريرًا ودخلها معنى الإيجاب فلم يحسن معها (أحد) لأن أحدًا إنما يجوز مع حقيقة النفي لا تقول: أليس أحد في الدار لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار وأحد لا تستعمل في الواجب "(٢) .

والفرق بين الاستفهام الإنكاري والاستفهام التقريري أن الاستفهام الإنكاري معناه النفي أي : ما كان ينبغي أن يكون ، والاستفهام التقريري معناه الإثبات يقول الزركشي :" فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار ، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير ، لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب ، وبالثاني إقراره به " (٣)

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ﴾(٤)، فقد أشار ابن عطية إلى أن الاستفهام هنا معناه التقرير فقال : " ظاهره الاستفهام ومعناه التقرير ، والتقرير محتاج إلى معادل كالاستفهام المحض ، فالمعادل هنا على قول جماعة ﴿ أَمْ تُرِيدونَ ﴾(٥) ، وقال قوم : أم هنا منقطعة ، فالمعادل على قولهم محذوف تقديره

(١) البرهان ٢ / ٣٣١ .
(٢) البرهان ٢ / ٣٣٣ .
(٣) السابق ٢ / ٣٢٨ .
(٤) البقرة من الآية / ١٠٦ .
(٥) البقرة من الآية / ١٠٨ .

: أَمْ عَلِمْتُم ، وهذا كله على أن القصد بمخاطبة النبي ـ ﷺ ـ مخاطبة أمته ، وأما إن كان هو المخاطب وحده فالمعادل محذوف لا غير ، وكلا القولين مروي"[1]

وأكد أبو حيان على أن الاستفهام هنا معناه التقرير ، لكنه نفى أن يكون محتاجًا إلى معادل فقال : " هذا استفهام معناه : التقرير فلا يحتاج إلى معادل البتة ، والأولى أن يكون المخاطب السامع ، والاستفهام بمعنى التقرير كثير في كلامهم جدًا خصوصًا إذا دخل على النفي ... والمعنى قد علمت أيها المخاطب أن الله قادر على كل شيء "[2] .

٣ ـ الاستبطاء :

قد يخرج الاستفهام عن أصل معناه في الوضع اللغوي إلى معنى الاستبطاء ، نحو قولك : كم دعوتك ؟ ، وعليه قوله تعالى: ﴿ ﴾ [3] ، فالصحابة لا يشكون في نصر الله حتى يسألوا عنه ، وإنما يستبطئون هذا النصر لما أصابهم من كرب وشدة .

---

(١) المحرر الوجيز ١ / ٣١٧ .

(٢) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى، تح / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ١ / ٥١٥ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان سنة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

(٣) البقرة من الآية / ٢٥٤ .

٤ ـ التسوية :

وضح الإمام الزركشي معنى التسوية بقوله :" التسوية وهى الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها " [١] .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿ ﴾ [٢] ، فالاستفهام هنا لا يقصد به ظاهره وهو طلب فهم غير معروف أو معلوم ، وإنما معناه التسوية بين الإنذار وعدمه ، يقول ابن فارس : " ويكون استخباراً، والمعنى تسوية. نحو: ﴿ ﴾ [٣] "[٤] .

وقد بين الإمام الزركشي معنى التسوية في الآية الكريمة عندما قال : " ومعنى الاستواء فيه استواؤهما في علم المستفهم ؛ لأنه قد عُلِم أنه أحد الأمرين كائن، إما الإنذار وإما عدمه ، ولكن لا يعيِّنه ، وكلاهما معلوم بعلم غير معين ، فإن قيل : الاستواء يعلم من لفظة (سواء)، لا من الهمزة ، مع أنه لو عُلِم منه لزم التكرار، قيل : هذا الاستواء غير ذلك الاستواء المستفاد من لفظة (سواء)، وحاصله أنه كان الاستفهام عن مستويين فجرد عن الاستفهام ، وبقى الحديث عن المستويين ، ولا يكون في إدخال (سواء) عليه لتغايرهما ؛ لأن

---

(١) البرهان ٢ / ٣٣٦ .

(٢) البقرة من الآية / ٦ .

(٣) البقرة من الآية / ٦ .

(٤) الصاحبي ص ٧٥ .

المعنى أن المستويين في العلم يستويان في عدم الإيمان، وهذا ـ أعني حذف مقدر واستعماله فيما بقى ـ كثير في كلام العرب" (١).

٥ ـ الاسترشاد :

في قوله تعالى : ﴿ ﴾ ، الاستفهام هنا لا يقصد به طلب حصول شيء غير معلوم ، وإنما هو استرشاد ، يقول ابن فارس " ويكون استخباراً، والمعنى استرشاد، نحو: ﴿ ﴾ "

وفي هذه الأنواع التي ذكرت هل يُجَرَّد الاستفهام من معناه أو يبقى الاستفهام ويضاف له المعنى الآخر ؟ يجيب عن ذلك الإمام الزمخشري بقوله: " هل تقول : إن معنى الاستفهام فيه موجود ، وانضم إليه معنى آخر ، أو تجرد عن الاستفهام بالكلية ؟ لا ينبغي أن يطلق أحد الأمرين ، بل منه ما تجرد كما في التسوية ، ومنه ما يبقى ، ومنه ما يحتمل ويحتمل ، ويعرف ذلك بالتأمل " .

ب ـ خروج الأمر عن مقتضى الظاهر:

الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً ،

(١) البرهان ٢ / ٣٣٧ .
(٢) البقرة من الآية / ١٤ .
(٣) البقرة من الآية / ١٤ .
(٤) البرهان ٢ / ٣٤٧ .

ويكون بلفظ (افْعلْ) و(ليفعل) نحو قوله تعالى : ﴿ ﴾[1]، ونحو قوله:﴿ ﴾[2].

وقد يأتي الأمر وله دلالة تختلف عن الدلالة التي تفهم من ظاهر معناه ، وإنما تكون له دلالة كامنة تفهم من السياق والمقام ،

يقول الإمام السكاكي : " ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام إن استعملت على سبيل التضرع كقولنا : اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه، وإن استعملت في مقام الأذن كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله ولدت الإباحة، وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ولدت التهديد على ما تقدم الكلام في أمثال ذلك." [3] .

أما عن صور خروج الأمر من معناه الموضوع له في أصل الوضع اللغوي إلى معان أخرى تفهم من السياق ومن قرائن الأحوال فيمكن بيانها فيما يلي :

١ ـ الدعاء :

(١) البقرة من الآية / ٤٣ .

(٢) المائدة من الآية / ٤٧ .

(٣) مفتاح العلوم ص ٤٢٨ .

نحو قوله تعالى : ﴿ ☎ ❐◆✂⇧↖✂◆❐ ←↖⇧✡☐✍ ✍☐✡♦❷ ⬀▩↘↘✍✂◆❐ ✍☐✡♦❻ ⬀✍◆☪⇧☺▽○⬀❻✍✂◆❐ ✎✍◆☪⇧☺▽○⬀❻✍✂◆❐ ﴾[1]

الأمر هنا ليس على بابه ؛ لأن العبد لا يأمر خالقه ، وإنما المقصود الدعاء والتذلل والتقرب إليه سبحانه وتعالى ، يقول ابن فارس : " وأما الدعاء والطلب فيكون لمن فوق الداعي والطالب ، نحو قولهم : اللهم اغفر ، ويقال للخليفة : انظر في أمري " [2]

٢ ـ التهكم والتعجيز:

نحو قوله تعالى : ﴿ ▫♦▯✍▫♦ ☎✂❑➔✍▫▯❻❑❒○✍✍☐◆❻❑❒○✍✍ ✍▯❒✂✍✝✍✂✍✍ ✍▯❒✂✍✝✍✂✍✍ ﴾[3].

ليس الأمر هنا على حقيقته ؛ لأن المولى ـ عز وجل ـ لا يأمرهم أن يأتوا بسورة من مثله ، وأنه يريد ذلك ، بل المقصود هنا التحدي وإظهار العجز عند طلب شيء لا يستطيع الإنسان فعله ، كقول أحدهم لمن يدعى أمرًا يعتقد أنه ليس في وسعه فعله: افعله، وعليه قوله تعالى:﴿ ▫♦▯✍▫♦ ➔✍❑✂☎ ✍✍✂❒✍✝✍✂✍✍ ▯❑◆❻❑❒○✍✍☐◆❻❑❒○✍✍ ﴾[4] ، يقول أبو حيان : " ولما كان أمره ـ تعالى ـ إياهم بالإتيان بسورة من مثله أمر

(١) البقرة من الآية / ٢٨٦ .
(٢) الصاحبي ص ١٩٣ .
(٣) البقرة من الآية / ٢٣ .
(٤) البقرة من الآية / ٢٣ .

تهكم وتعجيز ؛ لأنهم غير قادرين على ذلك انتقل إلى إرشادهم ، إذ ليسوا بقادرين على المعارضة وأمرهم باتقاء النار التي أعدت لمن كذب "[١] .

ومن ذلك . أيضًا . قوله تعالى : ﴿ ﴾[٢] .

فالأمر في هذه الآية الكريمة ليس على حقيقته ؛ لأن المولى . عز وجل . لا يريد منهم أن يأتوا بالبرهان ، وإنما المقصود هنا التحدي والتهكم وإظهار العجز أمام من يطلب منه شيئًا لا يستطيع فعله .

٣ ـ سرعة التكوين أو التسخير:

نحو: ﴿ 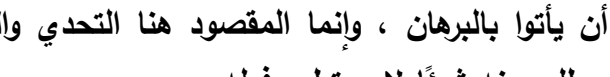 ﴾[٣] .

الأمر في قوله تعالى ﴿ 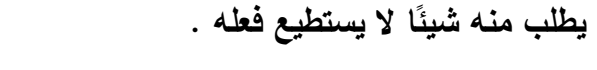 ﴾[٤] ، ليس على بابه ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يتحولوا إلى قردة ، وإنما الأمر هنا على خلاف مقتضى الظاهر ، واختلف في المراد به هنا ، فذهب فريق من المفسرين إلى أن الأمر هنا المقصود به سرعة التكوين ، ومن هؤلاء الفخر الرازي قال : " ليس بأمر ؛ لأنهم ما كانوا قادرين على أن يقلبوا أنفسهم على صورة القردة ، بل المراد منه سرعة التكوين "[٥] ، وذهب بعض اللغويين إلى أن الأمر هنا معناه

(١) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ١ / ٢٤٨ .
(٢) البقرة من الآية / ١١١ .
(٣) البقرة من الآية / ٦٥ .
(٤) البقرة من الآية / ٦٥ .
(٥) تفسير الرازي ٣ / ١١٨ .

التكوين ، ومنهم ابن فارس ففي معرض حديثه عن المعاني التي يحتملها لفظ الأمر قال : " ويكون أمرًا ، والمعنى تكوين ، نحو قوله ـ جل ثناؤه ـ ﴿ ☎✂❑←☼❑↗🖒 🕐❑🖂⑩♦❷🖒🔔 ﴾ ﴿ ♦✖✓🖒★🖒○🕐🖂⌘ ﴾[1] ، وهذا لا يجوز أن يكون إلا من الله جل ثناؤه "[2] .

ثالثاً ـ الإحالة إلى فعل مفصِّل أو مُفَسِّر للنص :

ففي قوله تعالى : ﴿ ☎✂❑←☺⑩🖒🔔❐🕮◆❐ ✂☜◉🕐○🖬■❑🗐❑■ ﴾[3] لا يعرف كيف تقام الصلاة من اللفظ أو الألفاظ المذكورة هنا أو في القرآن كله من أوله إلى آخره ، وإنما عرفت إقامة الصلاة وفهم معناها من خارج البنية اللغوية ألا وهو فعل الرسول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه ، وهو ما يعرف في الدراسة التداولية بأفعال الكلام .

وقد أشار ابن فارس إلى أن النص قد يفسر من خارج بنيته اللغوية عن طريق الفعل الموضح لمعناه فقال:" والذي يشكل لأنه لا يُحَدُّ فِي نفس الخطاب، فكقوله جلّ ثناؤه:﴿ ☎✂❑←☺⑩🖒🔔❐🕮◆❐ ✂☜◉🕐○🖬■❑🗐❑■ ﴾[4]، فهذا مجمّل غير مفصل حَتَّى فَسَّره النبي ـ ﷺ ـ" [5] .

(١) البقرة من الآية / ٦٥ .
(٢) الصاحبي ص ١٩١ .
(٣) البقرة من الآية / ٤٣ .
(٤) البقرة من الآية / ٤٣ .
(٥) الصاحبي ص ٧٥ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ﴾[1] ، لم نعرف كيفية الصيام إلا من فعل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ خاصة وأن صيام من قبلنا ليس كصومنا .

(١) البقرة من الآية / ١٨٣.

رابعاً ـ الإحالة إلى نص آخر :

روى عن المغيرة أنه قال : بعث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ جيشًا فحاصروا أهل الحصن ، وتقدم رجل من بجيلة فقاتل فقتل ، فأكثر الناس فيه يقولون : ألقى بيده إلى التهلكة فبلغ ذلك عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال : كذبوا ، أليس الله ـ عز وجل ـ يقول : 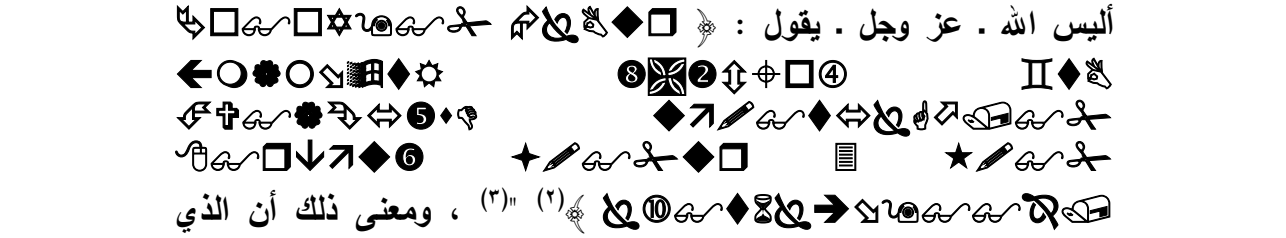

والدلالة المقامية هنا هى الحث على الإنفاق في سبيل الله ، وعدم الإمساك الذي يؤدي إلى الهلاك ، أما المعنى العام الذي قد يفهم من النص ،

(١) البقرة من الآية / ١٩٥ .

(٢) البقرة الآية / ٢٠٧ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تح / محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر ٣ / ٥٨٤ ، ط / مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، ومفاتيح الغيب ٥ / ١٤٨ .

وهو عدم القتال الذي يؤدي إلى الموت فهو مردود بقوله تعالى : ﴿ 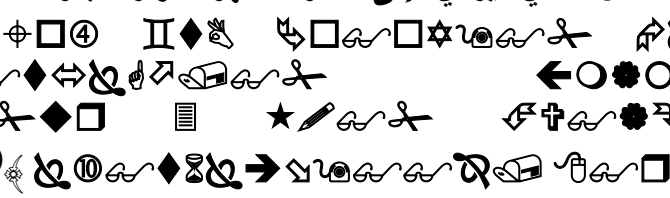 ﴾[1].

قد يقول بعض الناس إن السياق هنا لغوي لأنه فهم من نص آخر ، أقول : إن استنباط سيدنا عمر أن ما حدث مع الصحابي لا يدخل في معنى الآية وهو الإلقاء في التهلكة هو معنى مقامي ، لأنه نفي إسقاط النص على الواقعة فهو لا يتفق ومراد الله تعالى بدليل نص آخر تدخل فيه الواقعة وهو الذي يتفق مع ما حدث .

خامساً ـ المأثور التاريخي :

قد يكون المأثور التاريخي قرينة لبيان معاني الألفاظ ، ويحتاج النص إلى معرفة تفاصيل ذلك المأثور التاريخي لفهم المعاني ، ويتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ 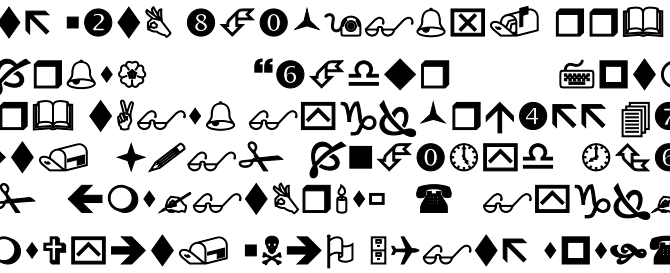 ﴾

(١) البقرة الآية / ٢٠٧ .

[1].، يقول د / تمام حسان : " ومن هذا القبيل كل ما في القرآن من خبر الأولين وقصص الأنبياء " [2].

(١) البقرة الآية / ٢٥٩ .

(٢) البيان في روائع القرآن ص ٢٢١ .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم جل من أنزله .

٢ . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر د / محمود أحمد نحلة ص ١٧ ، ط / دار المعرفة الجامعية سنة ٢٠٠٢ م .

٣ . إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع تأليف / عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، تح / إبراهيم عطوة عوض، ط / دار الكتب العلمية.

٤ . إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات تأليف الشيخ / أحمد بن محمد البنا ، تح د / شعبان محمد إسماعيل ، ط / عالم الكتب ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٥ . الإتقان في علوم القرآن للحافظ / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط / مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٦ . أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨ هـ) ، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأرغياني ، تح د/ ماهر ياسين الفحل ط / دار الميمان الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .

٧ . استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، تأليف / عبد الهادي بن ظافر الشهري ص ١٩٦، دار الكتاب الجديد المتحدة ، سنة ٢٠٠٤ م .

٨ . الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د / تمام حسان ص ٣٠٤ ، ط ، عالم الكتب ، سنة ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .

٩ . أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة نايف خرما ، ط / عالم المعرفة.

١٠ . إعلام الموقعين عن رب العالمين تصنيف / أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ، تح / أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط / دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية سنة ١٤٢٣ هـ .

١١ . الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي ، تح / مازن المبارك ، ط / دار النفائس سنة ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م .

١٢ . الإيضاح في علوم البلاغة ، تأليف / جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ، تح / إبراهيم شمس الدين ص ٢٠ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، سنة ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .

١٣ . البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى، تح / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان سنة ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م .

١٤ . البرهان في علوم القرآن للإمام / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط / دار التراث بالقاهرة .

١٥ . البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني د / تمام حسان ، ط / عالم الكتب ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

١٦. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح / عبد السلام محمد هارون ، ط / مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م .

١٧ . تاج العروس من جواهر القاموس للسيد / محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي ، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج ، ط / حكومة الكويت ، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١٨. تاج اللغة وصحاح العربية تأليف / إسماعيل بن حماد الجوهرى ، تح / أحمد عبد الغفور عطار ط / دار العلم للملايين سنة الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م .

١٩ . التحرير والتنوير تأليف / محمد الطاهر بن عاشور ، ط / الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤ م .

٢٠ . تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام / محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، ط / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

٢١ . تفسير القرآن العظيم للحافظ / أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير تح / سامي محمد السلامة ، ط / دار طيبة للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩م .

٢٢ . التفكير اللغوي بين القديم والجديد د / كمال بشر ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٥ م .

٢٣ . التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تح / أوتو يرتزل ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، سنة ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م .

٢٤ . جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تح / محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر ، ط / مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية .

٢٥ . حاشية الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي على مختصر السعد التفتازاني شرح تلخيص المفتاح للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

القزويني ، تح / خليل إبراهيم خليل ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان سنة ٢٠١١م .
٢٦ . الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق / محمد على النجار ، ط / المكتبة العلمية .
٢٧ . دراسات في علم اللغة (القسم الثاني : الأصوات) ، ط / دار المعارف بمصر القاهرة سنة ١٩٧١ م .
٢٨ . دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، تأليف د / سعيد حسن بحيري ، ط / مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
٢٩ . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف / أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تح / أحمد محمد الخراط ، ط / دار القلم بدمشق .
٣٠ . دلائل الإعجاز للإمام / أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، ط / مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٣١ . دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، سنة ١٩٩٠م .
٣٢ . دور الكلمة في اللغة تأليف / ستيفن أولمان ، ترجمة د/ كمال بشر ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة الطبعة الثانية عشرة.
٣٣ . ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تح / نعمان أمين طه ، ط / مصطفى البابي الحلبي .
٣٤ . شرح المفصل للإمام موفق الدين يعيش بن على بن يعيش ، ط / مكتبة المتنبي بالقاهرة .

٣٥ . الصاحبى فى فقه العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها لابن فارس ، تحقيق د / عمر فاروق الطباع ، ط : مكتبة المعارف . بيروت، سنة : ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م .

٣٦ . صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط / دار ابن كثير بيروت سنة ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.

٣٧ . صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله . ﷺ . للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تح / أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي ، ط / دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض سنة ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .

٣٨ . علم الدلالة د / أحمد مختار عمر ص ٧١ ، ط / عالم الكتب سنة ١٩٩٨ م .

٣٩ . علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، تأليف د / منقور عبد الجليل ص ١٢٧ ، ط / منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ٢٠٠١ م .

٤٠ . علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، تأليف د / هادي نهر ص ٢٦٨ ، ط / دار الأمل للنشر والتوزيع بالأردن سنة ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٧ م .

٤١ . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٢٦٣ ، ط / دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت . لبنان .

٤٢ . علم النص مدخل متداخل الاختصاصات تأليف فان دايك ترجمه إلى العربية د / سعيد حسن بحيري ص ١٢٣ ط / دار القاهرة للكتاب سنة ٢٠٠١ م .

٤٣ . فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح / محمد فؤاد عبد الباقي ، ط / المكتبة السلفية .

٤٤ . الفروق اللغوية للإمام / أبي هلال العسكري تح / محمد إبراهيم سليم ، ط / دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع .

٤٥ . كتاب التعريفات للإمام / علي بن محمد الجرجاني ، ط / المطبعة الخيرية بجمالية مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

٤٦ . كتاب سيبويه لأبى بشرعمرو بن قنبر المعروف بـ(سيبويه) ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ، ط / مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٤٧ . كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تصنيف / أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تح / علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط / دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧١ هـ . ١٩٥٢ م .

٤٨ . لسان العرب للإمام / أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ، ط / دار صادر بيروت .

٤٩ . اللغة العربية معناها ومبناها د / تمام حسان ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة / ١٩٧٩م

٥٠ . اللغة والمعنى والسياق تأليف / جون لا ينز ص ٨٣ ، ترجمة د / عباس صادق الوهاب ، مراجعة د / يوئيل عزيز ، ط / دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٨٧ م .

٥١ . مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط/ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٥م .
٥٢ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، ط / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .
٥٣ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تح / عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ، ط / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧م .
٥٤ . المستصفى من علم الأصول تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تح / حمزة بن زهير حافظ ، ط / شركة المدينة المنورة للطباعة .
٥٥ . المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث د / محمد أحمد أبو الفرج ، ط / دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، سنة ١٩٦٦ م.
٥٦ . مفتاح العلوم ، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تح / عبد الحميد هنداوي ص ٢٥٦ ، ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، سنة ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .
٥٧ . مقاييس اللغة لأبى الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، ط / دار إحياء الكتب العلمية ١٣٦٦هـ.
٥٨ . مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان ، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٠م .

٥٩ . المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، د / أحمد المتوكل ، ط / دار الأمان بالرباط سنة ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .

٦٠ . نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية ودلالية ، تأليف / عبد النعيم خليل ، ط / دار الوفاء .

٦١ . نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تح / كمال مصطفى ، ط / مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٦٣ م .

٦٢ . وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى محمد محمد يونس علي، ط / منشورات جامعة الفاتح سنة ١٩٩٣ م .